- ١ -

كان الضباب كثيفا منخفضا ، تطفو فوقه رؤوس اعمدة التليفون كالرماح المشرعة وسط سماء مظلمة الا من ومضات النجوم ، راسمة معالم الطريق الممتدة فى تلك المنطقـة من الريف ، المليئة بالمستنقعات .. وكانت المنازل فيها قليـلة متناثرة هنا وهناك وقد غشيها جميعا ظلام دامس اذ أوشك الليل ان ينتصف ولم تجر عادة القوم فى هذه الانحاء بالسهر طويلا ..

غير أن منزلا واحدا كان يشذ عن هذه القاعدة .. وهو منزل لا يختلف فى شيء عن أمثاله من اكواخ تلك المنطقـة ، الا فى ان ضوءا باهتا كان يشع من احدى نوافذ حجرات الطابق الاسفل منه فى مواجهة الطريق .

وفى تلك الحجرة جلس رجل فارع الطول ممشوق القوام مفتول العضل ثاقب النظرات انهمك فى تنظيف احدى بنادق الصيد ، وامامه على المائدة قدح من الجعة وطعام خفيف على حين رقد عند قدميه كلب صيد مرقط اغمض احدى عينيـه وبدا كأنه يغط فى سبات عميق .

وكان يضيء الحجرة مصباح صغير وضـع على المائدة ، تبدت معالمها فى ضوئه واضحة جلية .. غير انها لم تكن تتسق ومظهر الرجل الجالس فيها .. كان كل ما بها عتيق الطراز وتزين جدرانها صور دينية وآيات من الانجيل ، مما يدل على ان صاحبها كهل من رجال الدين ، أو عجوز من العوانس .. بينما كان شاغل الحجرة يلوح فى شرخ الشـباب ، عصرى المظهر .

وكانت مصاريع النافذة مفتوحة رغم ذلك الضباب الذى كان ينساب منها الى الحجرة كدخان خفيف .. ولكن الرجل كان من الاستغراق فى عمله بحيث لم يبال به .. وكان يرتدى سراويل قديمة رمادية اللون ، وصدرة من الصوف كان لونها ابيض يوما من الايام ، ويضع فوق كتفيه معطفا من المشمع الواقى من المطر حال لونه .. وكان قميصه مفتوحا غير ان بنيقته كانت فوق المنضدة بجوار الموقد وداخلها رباط الرقبة ..

وكف عن العمل لحظة فاشعل لفافة راح ينفث دخانها فيختلط بالضباب حتى لا يكادان يفترقان .. وما لبث ان تناول القدح الفارغ ومضى الى المطهى ليملاه بالجعة ثانية .

وفى تلك اللحظة هب الكلب من رقاده بغتة وراح ينبح نباحا عاليا ، تبعه بزمجرة مخيفة .. فاسرع الرجل الى الحجرة حيث وجد الكلب واقفا بجوار النافذة تنثال من فمه تلك الزمجرة المتصلة اشبه بالسباب أو الوعيد .. فصاح به فى جذل :

ـ صه ايها الوغد .. ماذا دهاك ؟ هل هناك من يقترب من مملكتنا الصغيرة ؟ صه .. فما استطيع ان اسمع شيئا وسط هذه الضجة الحمقاء ..

وكف الكلب عن الهرير فى جهد خارق ، وراح ينظر الى صاحبه بعينين يملؤهما العتاب .. غير انه كان فى شاغل عنه وقد وقف بلا حراك فى النافذة وراح يرهف السمع من جديد

ولكن الصوت لم يتكرر ثانية .. وخيل اليه ان الصيحة الثاقبة التى سمعها لم تكن صيحة استغاثة بقدر ما تشبه نداء رجل رجلا آخر ليخبره انه عثر على شىء ما .. ولكن منذا

الذى يبحث عن شىء فى منتصف الليل ، وفى طريق يكسوها الضباب السميك ؟

وكانت الصيحة قد انبعثت ، فيما بدا له ، من الطريق ذاتها .. وهى لا تبعد باكثر من عشر خطوات عن بوابة السياج الخارجى للكوخ .. فتحول عن النافذة ومضى يحضر قبعته وقد اعتزم ان يتحرى الامر بنفسه ..

وفى تلك اللحظة وقع شىء لم يكن فى الحسبان .. وكان وقوعه مفاجئا بحيث ظل لحظة حائرا مبهوتا يقلب نظراته فى ارجاء الحجرة ، على حين عقلت الدهشة لسان كلبه عن النباح ..

فقد دوى بغتة صوت تحطيم زجاج فى عنف وشدة ، وتلاه صوت ارتطام شىء صلب بالجدار المقابل للنافذة .. فلما افاق الرجل من دهشته تبين ان قطعة كبيرة من الحجر قد حطمت الزجاج الاعلى ثم ارتطمت بالجدار وسقطت فى ارض الحجرة .. وانقلبت الدهشة غضبا ، فمضى الى النافذة وصاح :

ـ اين هذا الوغد الذى فعل ذلك ؟

ثم اسرع يجتاز الحديقة الى الطريق ، باحثا عن «الوغد» الذى يقذف بالاحجار بيوت الناس فى منتصف الليل ، وهو يرجو أن يجده رجلا قد استبد به الثمل بحيث لا يدرك ما يفعله .. ولكنه لم يجد احدا .. وعاد ينادى من جديد فلم يجبه غير صدى صوته يتجاوب من بعيد ..

ولم يدر اى جهة مضى اليها قاذف الاحجار ، فان الضباب الكثيف يجعله لا يرى ابعد منْ انفه .. فراح يرهف السمع حديدا ، وعندئذ ادرك ان كلبه قد تبعه ، ولكنه وقف مطاطىء

الرأس ساكن الحراك يتشمم الارض فى قوة .. فنظر الرجل الى الاسفل ، فرأى امامه بقعة كبيرة داكنة اللون .. واشعل عودا من الثقاب ، وانحنى يفحص تلك البقعة ، وما لبث ان اطلق صفيرا خافتا من بين شفتيه ..

فقد كانت البقعة لا تزال دافئة لزجة .. كما كانت قانية اللون ، بحيث لا يخطىء معرفة كنهها .. كانت بقعة من الدماء

وشد الرجل قامته واشعل لفافة جديدة .. وبدا له ذلك السر عجيبا يثير الدهشة .. فالدماء حديثة العهد ، ما فى ذلك شك او ريب .. ومن المحقق ان الرجل الذى قذف النافذة بالحجر هو الذى نزفها .. ولكن لماذا بحق الشيطان لم يلجأ الى الكوخ — سواء اكان ثملا ام لا — ليطلب النجدة والعناية ؟ لماذا قذف الحجر وانفتل هاربا ؟

وبدأ كلب الصيد يزمجر فجأة ، وما لبث صاحبه ان سمع صوت محرك سيارة ينبعث من بعيد خافتا ، ثم يزداد صوته اقترابا فى بطء شديد ..

فاسرع الرجل الى الحديقة ، واوصد باب السياج ثم ارتكز عليه بمرفقيه ووقف ينتظر ، وقد ادرك بغريزته ان لتلك السيارة التى تشق طريقها وسط الضباب علاقة وثيقة بذلك المجهول الذى قذف النافذة بقطعة الحجـــر ، ثم اختفى فى احشاء الليل البهيم فجأة كما ظهر فجأة .

وبدا مصباحا السيارة خـــلال الضباب ، وما لبثت ان وقفت امام البوابة دفعة واحدة . . وسمع الرجل اصواتا تعلو على صوت المحرك ، ثم سمع صوت فتح باب السيارة وغلقه ، ووقع اقدام تقترب من البوابة ..

وكان القادم على وشك ان يضع يده فوق السياج عندما رأى وهج لفافة على قيد أصبع من وجهه ، فتراجع الى الخلف مذعورا .

وعندئذ ابتدره صاحبنا قائلا بلهجته المرحة :

— طابت ليلتك ! .. هل يمكنني ان اسدى اليك خدمة ما

وجذب انفاس لفافته فى قـــوة حتى ازداد توهجها .. وعندئذ لمح وجه ذلك الطارق الليلى .. كان وجها ينطق كل ما فيه بان صاحبه من العنصر الجرمانى ، حتى قبـــل ان يغمغم الرجل بالالمانية « طاب مساؤك » وقد اذهلته المفاجأة عن التحدث بالانجليزية .. ولكنه ما لبث ان قال : الم تر رجلا يسير فى هذه الطريق ؟

وقبل أن يسمع جوابا ، كان باب السيارة يفتح ويغلق من جديد ، ووقع الاقدام يقترب من البوابة من جديد .. ولكن القادم هذه المرة كان يحمل مصباحا كهربائيا فى يده ، القى بضوئه فوق وجه نزيل الكوخ ، ثم هبط به حتى قدميه ، متمهلا لحظة عند اليدين الملوثتين بالزيت ، والسراويل القديمة القذرة .

وقال القادم فى اقتضاب : هل انت هنا منذ زمن طويل يا صاحبى ؟

وابتسم الرجل فى الظلام ، فقد خدع القادم من مظهره وظنه من العمال .. وما لبث ان اجاب بلهجة اهل الشمال :

— لماذا ؟ فى موسم الكريز القادم اتم ثلاثين عاما هنا . .
— لست اعنى ذلك .. هل كنت تقف بجوار الســـياج منذ طويل ؟

ثم تحول والقى امرا سريعا على الالمانى الذى كان يقف بجواره ، فمضى هذا نحو السيارة حيث اوقف المحرك ، على حين كان صاحبنا يجيبه :

— ربما منذ خمس دقائق .. وربما اكثر من ذلك .. لماذا تسأل ؟

— هل رايت رجلا يمضى فى هذه الطريق ؟

— أجل .. جافير شيبشانك العجوز .. وكان ثملا يترنح ، وذلك حوالى السابعة .

فصر الاخر على أسنانه غيظا ، وقال :

— لست أعنى ذلك .. ولكن منذ برهة .. فى هذه الدقائق الاخيرة ؟

— كلا .. لم أر أحدا .. ولكن اى رجل تعنى ؟

وفجأة انبعثت صيحة دهشة من الطريق تلاها صوت الالمانى هاتفا :

— اميل ! .. تعال حالا .. وهات مصباحك ..

والقى نزيل الكوخ بلفافته تحت قدمه ووقف ينتظر وهو يعجب فيما سوف يحدث بعد ذلك .. فان الرجل الذى دعا اميل كان وقتئذ يفحص بقعة الدماء التى بدت له جليا فى ضوء مصباحى السيارة .. ولم تمض لحظة حتى عاد أميل الى البوابة ، وقال فى هدوء :

— اصغ الى ايها الرجل .. هل هذا كوخك ؟

— انه كوخ ابى ..

— وأين هو ؟..

— لقد ذهب اليوم الى نوروتش ..

— اذن فانت بمفردك الليلة ؟

— تماما .. يا مستر ..

وعندئذ قال أميل فى شىء يشوبه الوعيد :

— هل انت واثق من ذلك تماما ؟

— بلا شك ! هل تظننى معتوها ؟

وومض المصباح الكهربائى مرة اخرى فرأى على ضوئه مسدسا كبيرا مصوبا نحوه ، على حين قال الاخر :

— تعال الى الداخل .. هيا سريعا فانى فى عجلة ..

فلما احتوتهما الردهة استطرد الطارق قائلا :

— ماذا صنعت بالرجل الذى جاء الى هنا منذ قليل ؟

— لقد اخبرتك باننى لم ار أحدا قط .. ولعل من الافضل ان تلقى بهذه اللعبة جانبا فربما انطلق الرصاص من تلقاء نفسه .. وياله من موقف عجيب ، فى منزل المرء نفسه ! ..

وجلس نزيل الكوخ فى مقعد كبير بجوار الموقد ، وراح يربت على رأس الكلب ولكنه كان فى الواقع يحاول أن يخفى رباط رقبته الموضوع على المنضدة بجانبه ، اذ لم يكن من المستساغ ان يكون من النوع الفاخر ، وعليه اسم احد متاجر لندن الشهيرة ، بينما يبدو هو فى زى العمال من اهل الشمال

وبدا له ذلك الرجل المسمى اميل اجنبيا وان كانت الانجليزية لا تشوبها شائبة .. كما ان ثيابه كانت بالغة الاناقة وفى اصبع يده اليسرى خاتم ثمين ترصعه ماسة زرقاء نفيسة

ونجح فى اخفاء رباط الرقبة فى جيب سراويله ، فاستوى قائما ، وواجهه القريب قائلا :

— اصغ الى يامستر .. لقد سئمت حماقتك ، وهاك المنزل ففتشه اذا شئت ، ثم ارحنى من وجهك الكئيب ..

ولكن اميل لم يعره التفاتا .. وهوت يده بالمسدس الى جانبه .. كان وقتئذ يحملق فى النافذة المكسورة ، وفى قطعة الحجر الملقاة فى وسط الحجرة .. وما لبث ان قال فى بطء :

— متى حدث هذا ؟

— وما شأنك به انت ؟

فصاح به ملوحا بالمسدس : صه ايها الاحمق !

ثم انحنى فالتقط الحجر ، وراح يفحصه ويزنه بيده .. وعندئذ تحول الى الاخر وراح يتفرس فيه بعينين سوداوين عميقتين وقال :

— متى حدث ذلك ؟ .. ومن الذى القى بهذا الحجر على النافذة ؟

— لعنة الله على ان كنت اعرف شيئا عنه يا مستر ..

— ولكن متى حدث ؟

فتردد الرجل لحظة يسيرة ؛ ولكنه عول على ان يقول الحقيقة ، فقد يساعده ذلك على القاء ضوء على ذلك السر الذى كان يزداد كثافة لحظة بعد اخرى :

— منذ عشر دقائق .. وهذا هو الذى جعلنى اخرج الى السياج ..

فحدجه اميل بنظرة قاسية ، وقال :

— هكذا ؟ وهل لم تجد الرجل الذى قذف بالحجر ؟

— كلا ..

— الم يكلمك . او يناديك ؟

— كلا ..

— وماذا فعلت بعد ذلك ؟

— التقطت قبعتى وخرجت الى الحديقة ومعى الكلب ..

— ولكنك لم تر ما ينم عليه ؟

— كلا ...

ومضى اميل الى النافذة وهتف يدعو رفيقه ، ثم انتحيا ركنا وراحا يتحدثان طويلا فى صوت خافت بالالمانية ، لم يسمع منه نزيل الكوخ الا هذه العبارات « ريفى غبى » و « تضيع وقتنا » وكان من الجلى انه استطاع ان يضللهما فيعتقدوا انه من عمال الشمال .. ولكنه كان بعيدا كل البعد عن معرفة حقيقتهما .. واخيرا سمع احدهما يقول : « الافضل ان تتحقق من الامر » .. ترى ما الذى يبغيان التحقق منه ؟

ولم تساؤله ، فقد مضى الاخر يفتش حجرات المنزل واحدة بعد الاخرى ، وما لبث ان عاد فقال لاميل : لم اجد شيئا ..

فامره ان يفتش الرجل نفسه ، ولكن هذا تراجع خطوة الى الخلف وهو يصيح :

— ماذا تريد ان تفعل ؟ .. وباى حق ؟

— ارفع يديك ..

وكان الامر حاسما مقتضبا .. كما ان فوهـة المسدس المصوبة الى رأسه حسمت كل معارضة من جانبه .. فأطاع

صاغرا خائفا .. لا لان فى جيوبه شيئا مريبا ــ عدا رابطة الرقبة اللعينة ــ بل لان هذين الرجلين قد مضيا شاوا بعيدا فى عدوانهما .. ومن الجلى انهما يبحثان عن شىء معين .. فما هو ؟ .. وما الذى يمكن ان يتوقعا العثور عليه فى جيب عامل غبى ، كما يعتقدان ؟

واخيرا انتهى التفتيش .. وكانت ربطة الرقبة قد القيت فى غير عناية فوق المائدة عند ما اخرجها الرجل من جيبه .. ولكنهما لم ينتبها الى اسم المتجر المنقوش عليها .. وعادا يتهامسان طويلا مرة اخرى ، ولكن حديثهما كان من الخفوت بحيث لم يتبين الرجل كلمة واحدة منه ..

واخيرا بدا الاقتناع فى وجه اميل ، واوما براسه مرة او اثنتين ، فعاد رفيقه الى السيارة وادار المحرك ، على حين اخرج اميل حافظة نقوده وهو يقول :

ــ هل يمكنك ان تطبق شفتيك يا صاحبى ؟

واخرج ورقتين من ذات الجنيه ، فاجاب الاخر :

ــ اذا كان الامر كذلك يا مستر .. فلن يعلم احد شيئا

ــ لقد فر احد المجانين من مستشفى خاص .. وهو الذى قذف نافذتك بالحجر .. ولذلك فاننا نبحث عنه ، ولكننا لا نحب ان يعرف احد عن الامر شيئا . وهاك مايكفى لاصلاح زجاجك ..

ووضع الجنيهين على الخوان فنظر اليهما الاخر فى نهم وجذل ، بينما استطرد اميل :

ــ وسوف اعود من هذه الطريق بعد يومين او ثلاثة .. وساتحرى الامر .. فاذا وجدت ان احدا لا يعلم شيئا مما حدث ، فلك ثلاثة جنيهات اخرى .. اما اذا وجدت القوم على علم به ، فعندئذ .. كان الله فى عونك ! .. هل تفهمنى جيدا ؟ ..

ونطق بهذه العبارة فى هدوء عجيب جعل الاخر يتفرس فيه متعجبا ، وقد ايقن ان امامه افعوانا ناعم الملمس شديد الخطر .. وما لبث ان اجاب :

ــ تماما يا مستر .. لن اقول شيئا البته ..

واسرع اميل يغادر الحجرة ، وبعد لحظة كان صوت السيارة يتلاشى رويدا وهى تمضى فى طريقها ..

وراح يخاطب كلبه قائلا :

ــ ما معنى ذلك كله يا جيرى بحق الشيطان ؟ .. ولماذا يلقى الى السيد اميل بهذه الاكذوبة الصارخة مهما كان اعتقاده فى غبائى ؟ .. ولماذا يقذف الناس الاحجار على البيوت ويتركون بقعا كبيرة من الدماء امامها ؟ لا ريب ان هناك سببا خطيرا لذلك ولكننا لا نستطيع استجلاء كنهه الان .

ونظر الى ساعته فوجدها الواحدة بعد منتصف الليل ، فتمطى وعاد يقول للكلب :

ــ سوف نحاول حل اللغز فى الصباح يا جيرى .. اما الليلة ..

ولم يتم عبارته .. فقد مزق السكون بغتة دوى طلق نارى .. واجفل الكلب على حين تصلب جسم الرجل ووقف مكانه بلا حراك .. وكان من الجلى ان صوت الطلق قد انبعث

من الجهة التى مضت السيارة نحوها .. وساد السكون بعد ذلك ، ولم يتكرر اطلاق الرصاص .

وأمر الرجل كلبه ان يصحبه ، ثم اسرع يجتاز السياج ويمضي مهرعا صوب الجهة التى مضت السيارة فيها .. وكان الضباب لا يزال على كثافته حول الكوخ ، ولكنه بدا يخف رويدا رويدا كلما ابتعد عنه .. ولم يمض طويل حتى بلغ مسمعه صوت السيارة من جديد ، فتمهل فى سيره وراح يحاذر فى تقدمه ويلتصق بالاعشاب النامية على حافة الطريق حتى لمح خلال الضباب الخفيف الضوء الاحمر الذى يشع من مؤخر السيارة كما سمع اصواتا مختلفة تتحدث فى انفعال

وراح يتقدم فى حذر وخفة .. ولكنه لم يكد يدنو من السيارة حتى أطلق لها سائقها العنان ومضت تشق الظلام ثانية ، وعاد السكون يشمل المكان من جديد ..

واخذ الرجل يتفحص الطريق وهو يعجب ما الذى وجده الرجلان فى تلك البقعة بالذات واطلقا الرصاص عليه ؟ .. اهو الرجل الذى يبحثان عنه ؟ .. الرجل الذى يرجح ان يكون هو الذى قذف نافذته بالحجر ؟

وعندئذ جاءه الجواب سريعا .. فعند حافة الطريق كانت بركة من الدماء الدافئة .. فغمغم قائلا :

ـ لقد نزف المسكين معظم دمه .. ولكن اين هو ؟

وراح يبحث حواليه على ضوء اعواد الثقاب ، دون ان يجد شيئا .. فرجح ان يكون الرجلان قد حملا ضحيتهما الى الى السيارة معهما .. واعتزم ان يعاود الكرة فى الصباح بحثا عن الاثار التى يمكن ان تكون فى الطريق ..

وعاد الى كوخه وهو يضع يديه فى جيبى سراويله ..

وكان يمعن التفكير فى الامر ويقلبه على مختلف وجوهه دون ان يجد له تفسيرا .. فلماذا لم يلجا الجريح الى الكوخ مباشرة بدلا من ان يقذفه بالحجر ، ثم يمعن فى فراره اكثر من ربع ميل وهو يعلم ان هناك من يطارده ؟ واذا كان لم يلجأ الى الكوخ لعلمه انهما سوف يفتشانه فلماذا قذفه بالحجر ؟ .. وما غرضه من ذلك ؟

واجتاز السياج ثانية ثم مضى الى باب الكوخ .. وعندئذ وقف جامدا مكانه ، وقد ضاقت عيناه .. فان الاشياء التى كانت فوق المائدة قد حركت من مواضعها .. والبندقية نفسها لم تكن حيث وضعها .. فمضى الى المائدة فى سكون ، وفتح درجها ، فوجد الدليل الحاسم على صدق شكوكه .. كان الدرج بعض الاوراق الخاصة ، فالفاها مفضوضة وقد نحيت جانبا .. اذن فقد كان بالحجرة شخص ما خلال ربع الساعة الاخير .. ومع ذلك فما زال الجنيهان فى موضعهما فوق الخوان ومعنى ذلك أن الزائر لم يكن من اللصوص ، وانما هو شخص ترك فى ذلك الموضع ليراقب الكوخ ، فانتهز فرصة خروج صاحبه ليفتشه من جديد .. ولكن ابن ذهب الرجل بعد ذلك ؟

وخرج الى الحديقة من جديد ، ثم نادى كلبه قائلا :

ـ ابحث عنه يا جيرى .. ابحث عنه وهاته ..

وتطورت الحوادث سريعا .. فقد انقض الكلب على خميلة للزهور فى ركن الحديقة .. ودوت صيحة ذعر مروعة .. تبعها صوت اقدام تعدو فى سرعة كان الشيطان فى اعقابها

وما لبث الكلب ان عاد منكس الراس ، يعرج على ارجل ثلاث وبين اسنانه قطعة من سراويل فريسته ..

وعاد الرجل وكلبه الى الحجرة بعد ان اوصد الباب في احكام .. ثم وقف بجوار النافذة يحاول ان يخترق الظلام بنظراته النفاذة .. وفي الوقت نفسه كان يعبث باستخراج قطع الزجاج من النافذة ، عندما لمست يده فجأة قطعة من الورق ..

كانت ممزقة كثيرة الثنايا .. ولكن الكلمات التي سطرت عليها في لون احمر فان كانت لا تزال مقروءة .. وكانت بالمثل من الغموض بحيث ظل لحظة طويلة يتاملها وقد استغرق في التفكير .. والا فما معنى هذه الكلمات : « ماري جان .. عاجل .. جسر .ج.ج.١.٥ »

وما من شك في أن هذه الورقة كانت ملفوفة حول قطعة الحجر التي قذفت بها النافذة .. وقد وضح ذلك السر الذي ظنه من فعل معتوه او سكير .. وما من ريب كذلك في ان هذه القصاصة هي ما كان الرجلان يبحثان عنه في الكوخ وفي جيوبه .. ولكن احدا منهما لم يخطر بباله ان يبحث عنها في مصراع النافذة اذ انفلتت من الحجر واشتبكت بشظايا الزجاج ..

وثنى الرجل الورقة في عناية ثم وضعها في جيبه وهو ما يزال ممعنا في التفكير .. ولو هيىء للسيد اميل ان يرى النظرة التي ارتسمت في عيني نزيل الكوخ وهو يطفىء المصباح ويمضي الى فراشه ، لاقض مضجعه السهاد في ليلته هذه ولادرك اي بلاء سوف يلقاه من ذلك الذي خاله عاملا ريفيا غبيا .. من ارسين لوبين .

ولقد كان من سوء طالع ركاب السيارة الليلة ان ارسين لوبين هو الذي قذف كوخه بالحجر تلك الليلة .. بل الاحرى ان نقول كوخ مرضعته العجوز فكتوار التي هجرت فرنسا نهائيا واوت الى هدوء الريف الانجليزي فابتاعت هذا الكوخ باسم مسز اسكديل لتقضي فيه بقية عمرها ..

ولكن لوبين قد قدم من لندن ليمضي بضعة ايام في الكوخ للاستجمام وصيد البط ، أثناء غياب مرضعته في لندن لشراء بعض لوازمها .. ولكنه ما لبث أن وطن العزم على العدول عن هذه المتعة البريئة ، منذ ان راى تلك الرسالة العجيبة التي ارسلها اليه القدر وسط الضباب .. ولذلك فانه عندما استيقظ في الصباح ، ليجد الشمس تملأ عليه الحجرة ، كان قد استقر رأيه على استكناه هذا السر والتغلغل الى اعماقه.

ولو انه كان رجلا آخر من المواطنين المسالمين ، لمضى بالرسالة الخفية الى رجال الشرطة وقص عليهم ما حدث .. ولكنه كان يقدر كثرة الاعباء الملقاة على عواتقهم ويشفق ان يضيف عليها هذا العبء الجديد ..

وسمع صليل غطاء صندوق الخطابات ، فاطل من النافذة ورأى موزع البريد العجوز الذي حياه في احترام واخبره ان معه خطابين للسيدة اسكديل ، فطلب منه ان يضعهما في الصندوق اذ انها سوف تحضر اليوم من لندن..وكاد الرجل يمضي لشأنه لولا أن لمح الزجاج المكسور فصاح :

ـ يا الهي ! .. ما الذي كنت تصنعه هنا ياسيدي ؟.. لقد كان سليما امس ! ..

ـ لقد اصابني عسر الهضم خلال الليل ياجو .. ولعلك لا تعلم ان اكل الزجاج خير دواء لعسر الهضم ..

ـ آه ! .. كذا ! .. ولكن يخيل الي ان احدى السيارات قد اصابها عسر الهضم كذلك في هذه الطريق يا سيدي .. فلم ار في حياتي بركة من الزيت بهذا الحجم .. وهي تبلغ

عشرة امثال تلك التى امام البيت ..

ــ ما هذا الذى تقول يا جو ؟ .. هل وجدت زيتا امام البوابة ؟ ..

واسرع لوبين يرتدى قميصه وسراويله ويمضى الى الخارج ، فاذا به يرى أن الرجل لم يكن مخدوعا فيما رآه .. اذ كان الزيت يغطى بقعة الدم التى رآها عند منتصف الليل وحياه موزع البريد وانصرف لشأنه ، فعاد لوبين يتأمل البقعة ووجدها تغطى المساحة التى كانت تخفيها تماما .. فغمغم : عظيم ! .. عظيم جدا ! ..

واسرع يجتاز الطريق الى موضع البقعة الكبيرة الاخرى التى رآها منذ ساعات على مبعدة ربع ميل ، فوجدها مغطاة بالزيت كذلك .. وعندئذ وقف يدخن لفافته مفكرا فما من ريب ان الزيت لم يوضع فوقها ساعة ذلك الحادث ، فهو واثق من ذلك كل الثقة وما من ريب كذلك فى ان احدا قد عاد بعد ذلك ليخفى آثار الدماء بهذه الطريقة السخيفة لان الزيت لا يسيل من السيارات بمثل هذه الوفرة .. كما انه زيت جديد وليس من الزيت المستعمل الذى يسيل من آلات السيارة ..

وعاد الى الكوخ ، فمضى الى المطهى ليغلى قدحا من الشاى .. وفيما هو كذلك سمع طرقة على الباب ، تبعها نباح الكلب .. فصاح :

ــ ادخل .. سوف احضر حالا ..

وعندئذ صافح سمعه صوت اشبه بتغريد البلابل يقول :

ــ ولكن هل الكلب يعض ؟ ..

فأجفل لوبين ، واسرع الى الباب الخارجى وهو ينتهر الكلب ، واذ به يرى فتاة فى نحو الخامسة والعشرين من العمر ، ذات حسن خارق ، وفتنة جارفة ، ترتدى ثيابا انيقة .. فغمغم قائلا فى عجب :

ــ معذرة ، فقد كنت اتوقع مقدم مرضعتى العجوز .. ولذلك اذهلنى ظهورك المفاجىء .. هل لك أن تتفضلى بالدخول ؟ ..

وحدقت الفتاة النظر اليه لحظة ، فخيل اليه فى نظراتها لمحة من العجب والدهشة ثم قالت :

ــ لقد تعطلت سيارتى فى الطريق على قيد خطوات من منزلك ، فهل اجد لديك تليفونا اتصل به لاحضر من يصلحها؟

ــ اخشى أن تكون آلات التليفون نادرة فى هذه المنطقة .. ولكنى قد استطيع اصلاح العطب بنفسى ، فاذا عجزت فان سيارتى سيحضرها احد العمال الى هنا بعد قليل وفى وسعه ان يرى ما يمكن عمله من اجلك .. هيا بنا نراها أولا ..

وترددت الفتاة لحظة وما لبثت أن سارت معه نحو سيارة صغيرة ذات مقعدين كانت تقف فى جانب من الطريق على قيد مائة ياردة من الكوخ .. وفى اثناء ذلك قالت :

ــ اذن فلديك سيارة ؟ .. لقد حسبت ذلك اندر من آلات التليفون هنا ..

ــ بالنسبة للسكان الاصليين .. اما انا فلست الا زائرا.

فعادت تحدق النظر اليه وقد بدت الحيرة فى اساريرها ، وقالت :

ــ لست افهم تماما .. فأين تقيم عادة ؟ ..

ــ فى لندن .. حيث أرجو أن يتاح لى أن اجدد هذا التعارف ..

ــ ولماذا بحق السماء اتيت الى مثل هذا المكان .. ؟

ــ للاستمتاع بمثل هذه المفاجأة .. اذ أن المرء لا يتوقع ان يجد حسناء مثلك على عتبة الباب فى الصباح مع زجاجة اللبن والصحف .. !

وعلى رغم الابتسامة الشاحبة التى لاحت على شفتى الفتاة ، فان علائم الحيرة لم تفارق اساريرها ، وهى تمضى

قائلة :

ـ انك شخص عجيب .. ! ولكن متى جئت الى هنا..؟

ـ منذ يومين فقط .. والان دعنا نرى ما أصاب سيارتك.

وتقدم يفتح غطاء السيارة ، فما كاد يفعل حتى سمع انة خافتة ، فالتفت الى الخلف حيث راى الفتاة قد اغمضت عينيها وتشبثت بباب السيارة لتتقى السقوط .. فاسرع نحوها يسالها عما أصابها ، فغمغمت فى همس ضعيف :

ـ هل لك أن تحضر لى قدحا من الماء .. اننى اشعر بدوار شديد ..

ـ بلا ريب .. اصعدى الى السيارة ريثما أحضر الماء ..

وعاد بعد لحظة يحمل قدح الماء ، فوجدها قد انتعشت قليلا ، وهى تبتدره قائلة :

ـ معذرة لما سببته لك من عناء .. ولكنى لم اتناول أى شىء من الطعام ..

ـ يا الهى .. !هذا مرض يجب أن نعالجه فى الحال .. هيا بنا الى الكوخ ..

وعادا ادراجهما معا ، فاستطرد يسالها :

ـ الى اين كنت ذاهبة فى هذه الساعة المبكرة ، دون افطار .. ؟

ـ الى قصر خالى القريب من كمبردج .. فقد ارادنى على التبكير فى الذهاب لاشترك فى مباراة للتنس يقيمها بعد ظهر اليوم .. ولكنى يا الهى .. ! ما الذى أصاب النافذة .. ؟ اننى لم انتبه اليها الا الان ..

ـ لقد اراد أحد السكارى أن يداعبنى فقذفنى بحجر .. ولست أدرى ماسوف تقوله مرضعتى عندما تراها ..

ـ اتتوقع قدومها وشيكا .. ؟

ـ فى اية لحظة من الان ..

وصب الشاى فى قدحين وضعهما على المائدة ، ثم مضى

الى المطبخ ليحضر البيض ، وهو يصيح بها فى جذل :

ـ ضعى بعض اللبن فى قدحى أيتها الحورية .. وقطعتين من السكر ..

ولم يطل تمهله اثناء العبارة الاخيرة الا جزءا من الثانية. ولم يطل بالمثل وقوفه جامدا بلا حراك الا هذا الجزء من الثانية .. ولكن عينيه ظلتا متعلقتين بالمرآة الموضوعة فوق المغسل ، والتى كان يرى فيها صورة الفتاة وهى تجلس الى المائدة .. فقد رآها تضع فى قدحه مسحوقا ليس من اللبن أو السكر فى شىء ..

ومضى يثرثر فى القول وهو يجلس امامها ، ولكن عقله كان يعمل فى سرعة وتفكير .. فهو يعلم ان عينيه لم تخدعاه ، ومن ثم كانت المفاجأة شديدة الوقع فى نفسه . فما خطر بباله قط أن تكون الفتاة شيئا آخر غير الذى يدل عليه مظهرها ... اما الان فقد تغيرت نظرته الى الامر ..

واذا كان ذلك المسحوق الذى رآها تضعه فى قدحه مادة مخدرة ، ولا ريب انه كذلك ، فلا ريب كذلك أن الفتاة ليست الا من افراد الليلة الماضية .. ومن ثم بدا له سبب الحيرة التى تملكتها ، جليا واضحا .. فقد كانت تتوقع ان ترى امامها « عاملا غبيا » ولكنها وجدته هو .. !

وهو يعلم تماما انها لم ترتب فى رؤيته لها وهى تدس المخدر .. فمن المحتم والامر كذلك أن تظل على هذا الجهل .. وفى الوسع تدبير أمر الشاى فى يسر وسهولة .. وما هى الا ان سقطت السكين من يده وهو يقطع الخبز ، وانحنى ليلتقطها ، حتى صدم مرفقه قدح الشاى فأراقه على المائدة وعلى سراويله .. فنهض قائلا فى اعتذار :

ـ يا لى من أحمق .. ! ولكن يا الهى .. ان الشاى شديد الحرارة .. !

واستأذنها أن يذهب لاستبدال ثيابه فقالت :

ـ بلا ريب .. ولكن مسكين انت ! .. لا ريب ان الشاى قد احرق جلدك ! ..

وكانت أساريرها تنطق بالعطف والشفقة لما أصابه .. فلم تختلج عيناها أسفا على فشل خطتها .. وكان لوبين يفكر اثناء استبدال ثيابه فيما عسى أن تكون خطوتها التالية .. ولا ريب أنها كانت تريد من تخديره ان تقوم بتفتيش الكوخ بحثا عن تلك الرسالة التى بلغ من اهميتها انهم يلجاون الى مثل هذه الاساليب فى محاولة العثور عليها ..

وعندئذ لم ير خيرا من ان يقضى على هذه الرسالة ، بعد ان ينقش كلماتها فى ذاكرته .. فاخرجها من بطانة قبعته ، وراح يتأملها فى امعان ، ثم أشعل ثقابا أحرقها به حتى صارت رمادا ذراه فى الهواء ..

وما كاد يعود ويجلس قبالتها حتى سمع دوى العجلات فى الطريق وان هى الا لحظة حتى كانت مسز اسكديل تقف بالباب فاغرة فاها وهى تتأمل الزجاج المحطم .. فصاح بها لوبين مرحا : انه احـد السكارى يا اماه .. وقد اقتضيته جنيهين ثمنا للزجاج .. وهذه سيدة جميلة أصاب سيارتها العطب امام الكوخ فدعوتها لتشاطرنى طعام الافطار ..

فقالت الفتاة : من حسن الحظ أنها تعطلت هنا .. فلست ادرى ما عساه كان يصيبنى اذ لم اجد هذا الشاى اللذيذ .. وهذا الكوخ الجميل ..

فنظرت اليها العجوز فى ريبة .. فهى تعرف لوبين حق المعرفة ، وتعرف ان وجود فتاة جميلة معه مما يريب حقا ..

ومع ذلك فلم تمض ساعة حتى كانت الفتاة قد أخـذت بمجامع قلبها .. حتى اذا ما حضر العامل بسيارة لوبين كانت العجوز شديدة الاسف على فراقهما ..

وكان لوبين قد عجز عن اصلاح السيارة بعد محـــاولة طويلة .. فطلب الى العامل أن يفحصها وصحبه اليها ، فماكاد

الرجل يمضى فى فحصه قليلا حتى تبدت الدهشة فى وجهه ونظر الى لوبين قائلا : اتقول يا سيدى انها كانت تسير جيدا ثم تعطلت فجاة ؟ ..

ـ هذا ما تقوله السيدة ..

ـ ولكن ذلك اعجب شىء رايته .. ولا ادرى بحق الشيطان كيف يمكن أن يحدث .. اترى هذا الشىء امسكه بين أصابعى؟ انه مجمع الاسلاك التى تتمم الدورة الكهربائية ، وما لم يكن نظيفا جافا فلا يمكن للسيارة ان تتحرك أصبعا واحدا .. وهانت تراه غارقا فى الزيت ، فكيف اتاه الزيت بالله عليك ؟ ..

ـ ربما كانت احدى الانابيب قد رشحت ..

ـ محال ان يحدث ذلك فى هذا الموضع ، اذ لا توجـد انبوبة للزيت بالقرب منه .. فاذا كانت السيارة قد ســارت جيدا ـ كما تقول السيدة ـ فلا ريب أن الاسلاك كانت جافة نظيفة .. فكيف اتاها الزيت اذن ؟ .. لابد انه لم يأت من تلقاء نفسه ! ..

واضاءت هذه العبارة السبيل أمام لوبين . فارتسمت الابتسامة على شفتيه وهو يرقب الفتاة اذ كانت تداعب الكلب امام الكوخ .. ثم سأل العامل كم من الوقت يستغرقه اصلاح العطب ؟ فأجابه ان ذلك سوف يطول زهاء ساعتين .. وكانت الفتاة قد بدات تسير نحوهما ، فأسرع يقول للعامل فى هدوء :

ـ اصغ الى ، وسوف اجزل لك العطاء .. قل انك لم تعرف سبب العطب ..

واستطرد يصيح بالفتاة وهى تدنو : ان الخبير قد فشل فى فحصه حتى الآن ..

ـ رباه ! .. وماذا عساى فاعلة الان ؟ .. لا ريب أن خالى المسكين سوف يقلق كثيرا ..

فضحك لوبين وقال : لن يحدث ذلك وانا هنا .. ماقولك فى أن تصحبينى فى سيارتى فاذهب الى قصر خالك فى طريقى

الى لندن ؟ ..

فنظرت اليه الفتاة فى ريبة ، على حين قطب الميكانيكى حاجبيه بعد أن خيل اليه انه قد فهم سر هذه اللعبة .. ثم غمغمت :

— لم اكن اود ان اسبب لك هذا العناء ، فان المنزل بعيد عن طريقك ..

— لا عليك ، فما زال الوقت مبكرا .. ولكن الى اين يذهب الرجل بسيارتك بعد اصلاحها ؟ .. الى منزل خالك ؟

فترددت لحظة ، وقالت :

— لعل الافضل ان يأخذها الى جراج كانابى فى كمبردج . هل تعرفه ؟ ..

— أجل أيتها الانسة ..

فالتفتت الى لوبين قائلة :

— لقد ذهب خالى الى ذلك المكان منذ عهد قريب ، ومن الصعب أن أصف للرجل موضع القصر .. ولذلك فضلت ان يأخذها الى الجراج وسأتصل بهم تليفونيا ليدفعوا له ما يطلبه ..

فلمس العامل قبعته وهو يومىء موافقا .. ثم ظل يرقب الاثنين وهما يعودان الى الكوخ ، دون أن يفارقه ذلك القطوب خصوصا عندما عاد لوبين وحده ومنحه جنيها وهو يأمره بأن يأخذ السيارة الى الجراج دون أن يقول لأحد شيئا عن سبب العطب .. ولكن الذى زاد فى حيرة الرجل انما كان معنى تلك البرقية التى كلفه بارسالها اذا لم يقابله فى الجراج حتى الظهر والتى كان نصها : « داريل ، نادى سنيور الرياضى ، لندن .. البهو ، العنكبوت ، كمبردج .. ارلو .. »

— ٣ —

وكان شديد الابتهاج من صحبة الفتاة ، لا لحسنها الرائع وفتنتها الجارفة فحسب ، ولكن لما تتيحه له رفقتها من

التغلغل الى اعماق السر الذى يشغله .. وكان يعجب أشد العجب مما يدعو مثل مس فينابلز — كما عرف اسمها — الى الاندماج فى عصابة السيد أميل وأعوانه .. وكان يفكر فى ذلك فى الفترة التى قضاها فى السيارة بمفرده فى احدى القرى عندما سألته الفتاة ان يقف ريثما تتصل بعمها تليفونيا لتنبئه بتأخيرها ؛ بينما الواقع انها كانت تريد تخديره .. وكان من أنجلى أيضا أنها وضعت الزيت فى محرك السيارة لتعطلها عندما افتعلت الاغماء ومضى ليحضر لها كوبة الماء .. وقد تملت ذلك عندما تبينت فداحة الخطأ الذى وقع فيه أميل وشركاه عندما حسبوه عاملا ريفيا غبيا ، فكان هذا العمل من جانبها دليلا على حدة ذكائها وسرعة خاطرها .. ولم يكن غرضها من كل ذلك الا وضع المخدر فى شرابه ثم تفتيش الكوخ .. ولكنه لم يتبين جليا سبب رغبتها فى ان تقابل خالها ومن جديد راح يعجب أن كان هذا الحديث التلفونى الذى طال مداه لا يرمى الا الى اعداد استقبال حافل له ، من طراز لقاء المسيو أميل له ..

وكان مبتهجا اذ لم تعرف الفتاة انه خدعها .. وما من ريب انها كانت ترتاب فيه ، لمجرد ادعائه ليلة الامس انه من العمال ، ولكذبه فى الحديث عن النافذة المحطمة .

وعادت بعد برهة ، فاعتذرت له عن غيابها طويلا ، بأن خالها فى ضيق شديد ..

ثم أضافت :

— لست احب ان اضايقك كثيرا ما مستر ارلو .. ولكن هل لك ان تأخذنى الى قرية نوروتش ؟ .. سوف ابحث عن شىء هناك ولن اعوقك اكثر من دقيقة ..

وكان لوبين قد انتحل أمامها اسما مستعارا ليس سوى المقطعين الاولين من اسمه الحقيقى .. فأجاب :

— بلا ريب يا عزيزتى .. فلست فى عجلة من أمرى ،

ولا يزال اليوم فى اوله ..

ورمقها بركن عينيه فوجدها تجلس تحـدق النظر ال الامام وقد بدت فى أساريرها علائم التفكير العميق .. وظل كذلك دون ان يتبادلا كلمة واحدة حتى بلغا نورتش حي قالت عندما وقفت بهما السيارة بجوار الكنيسة :

ـ هل لك ان تنتظرنى هنا ؟ .. سوف لا اغيب كثيرا .

وكان من السخف ان يتبعها ويقتفى اثرها فى وضح النه وفى بلدة صغيرة كهذه ، فانه لا يريد ان يثير فى نفسها الشكو من ناحيته .. ولكنه كان يعجب مما دعاها الى تغيير خط سيرها على هذا النحو ..

ولم تغب الفتاة دقيقة كما زعمت ، وانما طال غيابه حتى بلغ العشرين دقيقة .. وكان يبدو فى محياها وهى قادم نحوه ان مهمتها لم تلق نجاحا ، اذ زاد قطوبها وشرود ذهنه وصعدت الى السيارة دون ان تفوه بكلمة واحدة ، فسألها :

ـ هل تذهب الى كمبردج ، أم لا يزال لديك ما تفعلين هنـا ؟ ..

ـ كلا وشكرا .. لقد وجدت ما أردت ان اعرفـه ..

ـ اخشى أن تكون النتيجة غير مرضية ؟

ـ انها كذلك حقـا ، ولست ادرى كيف ابلغ الامر ال خالى ..

فقال فى هدوء ورفق :

ـ اصغى الى يا مس فينابلز .. اننى لا أريد ان ابدو متطفلا او ازج بنفسى فيما ليس من شأنى .. ولكن الا يمكن ان اقوم بأية خدمة لك ؟ ..

وظلت برهة لا تحير جوابا .. ثم بدا انها قد اعملت فكره اذ قالت فجأة :

ـ مستر ارلو .. ألم تسمع قط عن جمعية المفتاح الفضى

ـ انها المرة الاولى .. ولكن الاسم يبدو لى رقيقا ..

ـ ان هذه الرقة لا تعدو الاسم فقط .. ولكنها اشـد الجمعيات السرية خطرا فى اوروبا هذه الايام ..

ـ من يعش يره .. ولكن ما علاقة هؤلاء الناس بحياتك الشابة ؟ ..

ـ لا شىء يختص بى ، ولكن بخالى ..

ـ أهو اجنبى ؟

ـ يا لله ! .. انه انجليزى مثلك ومثلى ..

وران عليهما الصمت بعد ذلك حيث كان لوبين يفـكر فيما سمعه .. وبدا له انه اذا اراد المزيد من المعلومات فعليـه بعد هذه البداءة ان يشير الى زواره الليليين ، فقال :

ـ من العجيب أن نتحدث عن الاجانب بعـد ان تلقيت زيارة اثنين منهم فى الليلة الماضية .. كانا من الالمان ..

فصاحت فى دهشة مفتعلة جعلت لوبين يعجب برقـة تمثيلها :

ـ ماذا ؟ .. انت .. ترى ما الذى كانا يبغيانه منك ؟

ـ لعمرى لست ادرى يامس فينابلز .. فقد كانا يتحدثان طويلا دون ان افقه ما يريدان .. كما ان احـدهما ويدعى اميل ..

ـ اميل ؟ .. ترى هل يضع فى اصبعه خاتما ذا ماسـة زرقاء .. ؟

ـ انه الوغد نفسـه .. هل تعرفينـه .. ؟

فتمهلت الفتاة قبل أن تجيب :

ـ مستر ارلو .. انه احد زعماء جمعية المفتاح الفضى ..

ـ اهو كذلك حقا ؟ .. لقد اعتقد بالامس اننى مـزارع بسيط ساذج ، فتركته يعتقد ما يشاء .. وكان وصـوله بعد زمن وجيز من مرور ذلك السكير الذى قلت لك انه قذف نافذتى بالحجر .. ومن عجب ان السـيد اميل كان شـديد الاهتمام بهذا الحادث وبالحجر ذاته .

— ولماذا هذا الاهتمام البالغ ؟ ..

— ان لبعض الناس هـويات غريبـة يا مس فينابلز .. وهذا الرجل كان شديد الضيق والانفعال وراح يلوح امامي بمدفع صغير .. وفي رأيي ان الذي اثار انفعاله هي تلك البقع من الدماء التي كانت امام الباب ..

فأجفلت الفتاة وقالت : بقعة من الدماء ؟ .. ولكن هل اصيب أحد ؟ ..

— هذا مما لا ريب فيه ، فان الدماء لا تنبت وحدها في الأرض كالعشب ..

— الم تحاول معرفة ما حدث ؟ ..

— لقـد كان الضباب يا عـزيزتي كثيفا بحيث لا يرى الانسان يده اذا مد ذراعه امامه .. كما ان مستر اميـل كان يثير اهتمامي اذ كان يظن انني اخفي رجلا في الكوخ .

— هل تعني انه يطارد شخصا ما ؟ ..

— هذا ما يلوح لي ..

فقالت الفتاة بعد لحظة : لقد فهمت ..

— يسرني ذلك ، لانني في الواقع لم افهم شيئا .. فهـل لك ان تزيدي الامر وضوحا ؟ ..

فترددت الفتاة ثانية ، وظلت صامتة برهة طويلة ، قبل ان تجيب :

— هل تعلم من الذي ذهبت لاراه في نوروتش ؟ .. انه الرجل الذي سالت دماؤه في الطريق .. الرجل الذي كانوا يطاردونه ..

— وهل رايته ؟ ..

— كلا .. فقد اخبرتني مـديرة منزله ان رجلين من الاجانب حضرا لزيارته في ساعة متاخرة من الليل فصحبهما الى الخارج ولم يعد .. ولا ريب انه فر منهما خلال الطريق في الضباب وعندئذ حضرا اليك للبحث عنه . .رباه ؟ .. ان

ذلك سوف يحطم خالي جون تماما ..

فحدق لوبين النظر اليها وقال : ولماذا يصيب ذلك خالك جون ؟ ..

— لانه ابنه .. فهذا الرجل هو هارولد ابن خالي ..

فصفر لوبين بشفتيه ، ثم قال في دهشة :

— ولماذا بحق السماء يطارد السيد اميل وعصـابته هارولد هذا ؟ ..

— مستر ارلو .. انني سوف اوليك ثقتي فاشرح لك الامر بحذافيره . . ولا اعلم ان كنت مصيبة في ذلك ام مخطئة، ولكن هذا الامر قد ضعضع اعصابي .. وما دامت الظروف قد زجت بك في هذه الحوادث في مصادفة عجيبة ، فلتكن على علم بحقيقة الامر .. فقد ذهب هارولد منذ ثلاثة اعوام الى المانيـا ..

— لحظة واحدة يا مس فينابلز .. اي نوع من الرجال هارولد هذا ؟ ..

— هو شاب رقيق المعشر ، ولكنه ضعيف الارادة ، فقد نشأ مدللا اذ ماتت أمه عند ولادته ، فافسد خالي واساء تنشئته .. حسنا .. لقد ذهب الى المانيا منذ ثلاثة اعوام ، للنزهة ، اذ انه يجيد كثيرا من اللغات .. وهناك اتصل بطريقة او اخـرى بذلك الشيطان اميل وجمعية المفتاح الفضي .. وليس عجيبا ان يحدث ذلك ، اذ ان للجمعية فروعا في جميع الاقطار الاوروبية وفي انجلترا نفسها .. وكان ينظر الى الامر في مبدئه كمجرد ملهاة يتسلى بها ، ولكنه عندما تبين خطر هذه الجمعية ، كان قد فات اوان النكوص .. ولم اكن اعرف شيئا عن هذا الامر ، كما لم يعلم به خالي ، اذ لم نتبينه الا مؤخرا عندما رايته كثير الوجوم على غير عادته .. واخيرا استطعت ان انتزع السر منه ، فاذا بالجمعية تشدد الضغط عليـه ليمدها ببعض المعلومات السرية الخطيرة .. وقد نسيت أن

اخبرك ان هارولد يعمل فى وزارة الخارجية ، ولذلك تتاح له الفرصة كثيرا لمعرفة بعض الاسرار الهامة والاطلاع على الوثائق السرية .. وكنت مع خالى منذ اسبوعين عندما حضر هارولد فى حالة يرثى لها .. كان شديد التمـــل على غير مالوفة .. واستطعنا بشق النفس ان نعلم منه ان هـــؤلاء الاوغاد بعد أن كانوا يهددونه بالخطابات من المانيا ، قد حضروا الى انجلترا وراحوا يهـددونه شخصيا ، اذ كانوا يريدون صورة من وثيقة شديدة الخطورة ..

— ولماذا لم يذهب الى البوليس ؟ ..

— هذا ما قاله له خالى ، وعندئذ علمنا الحقيقة المروعة .. علمنا ان هارولد قد انزلق الى هـوة الخيانة ، وامد هـذه الجمعية ببعض المعلومات التى اؤتمن عليها .. ولديهم وسائل منه تثبت عليه الجريمة ، يكفى ان يبرزوها حتى يقضوا عليه وكان الاوغاد يعرفون ذلك فاستخدموا هذا السلاح فى سبيل ارغامه على الافضاء اليهم بمعلومات أخرى ذات اهمية حيوية يعد افشاؤها خيانة وطنية عظمى .. ومن ثم شعر هارولد بخطورة موقفه ، فاذا امتنع عن طاعتهم كان معنى ذلك الموت، واذا انساق الى تنفيذ رغباتهم كان ذلك العار كله ، ولذلك سلك الطريق الوحيد المفتوح امامه. وهو الفرار من وجوههم، فحصل على اجازة طويلة وغادر منزل ابيه ومضى يختفى فى نوروتش .. ولكنهم عثروا عليه هناك ..

— وكيف عرفت بما حدث ليلة امس يا مس فينابلز ؟

— لقد اخبرنى خالى به عندما اتصلت به تليفونيا ، فان مدبرة منزل هارولد تحدثت اليه فى الصباح واخبرته بان هارولد غادر المنزل مع اثنين من الاجانب ولم يعد .. وانت تعرف البقية ..

وكانت الفتاة تتنهد وهى تفرك منديلها فى عصبية بين كفيها ، وما لبث لوبين ان غمغم :

— انى آسف لما اصابكما أيتها الانسة ، وأرجو ان تنكشف هذه الغمة قريبا ..

— لقد كان ينبغى ان اكتم الامر .. ولكننى توسمت فيك ما يجعل المرء يثق بى ويأنس اليك .

— شكرا لهذا الشعور الرقيق .. ولكن الذى لا افهمه بعد هو ما الذى حدا بابن خالك هارولد الى قذف نافذتى بالحجر ؟ ..

— لقد فكرت فى ذلك يا مستر أرلو .. فهلا ترى من المحتمل ان تكون هناك رسالة ما لف بها قطعة الحجر على امل ان تصل اليك ؟

— يا الهى ! .. انها فكرة رائعة يا مس فينابلز ! .. الان فهمت لماذا كان مستر اميل بالغ الاهتمام بما فى جيوبى .. ومع ذلك فلم تخطر لى هذه الفكرة ببال ! ..

واختلس اليها النظر ، فوجد جبينها شديد القطوب .. ومرة اخرى ازداد اعجابه ببراعة تمثيلها .. بيد انه لم يعرف مبلغ قصة هارولد هذه من الصدق .. ولولا انه رآها بعينيه وهى تدس له المخدر ، ولولا ان عامل السيارات اخبره بسبب العطب الذى اصاب سيارتها لكان من المحتمل ان يصدق كل حرف من هذه القصة ، ولو انه صدقها لما كان هناك ما يدعو الى اخفاء امر الرسالة عنها ..

واشتدت رغبته فى استجلاء هذا السر المستغلق ، كما اشتدت لهفته الى لقاء الخال العزيز جون .. وهذه الفتاة انجليزية صميمة : فهل خالها كذلك ؟ .. بل هل هو خالها على الاطلاق ؟ وما هى حقيقة الصلة بينها وبين ذلك الرجل المسمى اميل ؟ .. وكان يعلم انهم اصابوا الحدس فى وجود رسالة حول قطعة الحجر ، ولكنهم يتخبطون فى الظلمات بعد ذلك .. فهم لا يعلمون ان كان قد وجد الرسالة أم لا .. وهم فى سبيل معرفة ذلك لا يترددون البتة فى انتهاج كل الوسائل

مهما بلغت من العنف ..
واخيرا استطرد قائلا :
ــ ولكننى لم أر اثرا لاية ورقة فى الحجر .. ومن المحقق ان الحجر لم يكن ملفوفا بشىء .. غير انه من المحتمـل ان تكون قد سقطت فى الحديقة ، الا اذا كانت الرياح قد حملتها بعيدا .. ولمـاذا بالله لم تفكرى فى الامر قبـل ذلك يا مس فينابلز ؟ .. فلعلنا كنا نجدها لو بحثنا عنها .. ولكن ماذا يمكن ان يكتبه ابن خالك فى هذه الرسالة مما قد يفيده فى شىء ؟

فأخلدت الفتاة الى التفكير برهة ثم قالت :
ــ لعله عرف المكان الذى يقودونه اليـه يا مستر أرلو فكتب اسمه وقذف به على أول نافذة مضيئة لقيهالمجـرد الاستغاثة وطلب النجدة ..
فنظر اليها لوبين فى اعجاب ، وهتف :
ــ لعمرى ان العمل معك لذيذ يا مس فينابلز .. فهـذه فكرة أيضا لم تخطر لى على بال قط ..
ــ ولكننا اذا أردنا أن ننقذه فينبغى أن نعرف المكان الذى اقتادوه اليه فى أسرع وقت مستطاع .. لان خالى لا يريد ابلاغ الامر لرجال البوليس ..
ــ ما رأيك فى ان ترسل برقية الى مسز أسكديل لتبحث عن قصاصة من الورق فى الحديقة وتبرق بمحتوياتها ــ ان وجدت ــ الينا ؟ ..
ــ سوف نقف عند أول مكتب للبريد ونبعث اليها بهذه البرقية .. ولكن أين تريدن أن ترسل الاجابة ؟ .. الافضل أن ترسلها الى خالك ، فما هو عنوانه ..
ــ ان قصره يدعى (هارتلى كورث) ويكفى ان تذكر اسم المكان لتصل اليه ..
ــ وما اسم خالك ؟ ..

ــ مستر مريديث ..
ــ حسنا .. سوف لا تتأخر مسز اسكديل عن الرد ، فهى رقيقة الشعور جدا ..
وغادر لوبين السيارة عند أول مكتب للبريد حيث راح كتب برقية طويلة قدمها للموظف واجزل له العطاء وأوصاه كتمان ما جاء بها .. ثم عاد ليخبر مس فينابلز باتمام مهمته ما لبثا ان درجت بهمـا السيارة حثيثا فى طـريقها الى مبردج ..
ولو حدس لوبين كل شىء فى تلك اللحظة ، لما حدس قط نه كان يعقد وقتئذ مجلس حربى فى قصر هارتلى كورث حيث قيم الخال جون ..
ففى احدى حجرات الطابق الاعلى كان رجـل أشيب لشعر فى نحو الخامسة والخمسين من العمر ، يجلس الى ائدة عريضة ، وأمامه ذلك الالمانى اميل ، الذى كان يقـول خشونة :
ــ اننى لا افهم شيئا البتة ، فهل قلت ان ذلك العامـل لريفى قادم بسيارته الان مع دوريس ؟
ــ وهل تظن عاملا ريفيا يملك سيارة من طراز رولس ويس ؟ .. لقد استطاع أن يدخل عليك الغفلة يا صاحبى ، فهو سيد يدعى مستر أرلو .. اما لماذا فعل ذلك فهـذا لا افهمه :
ــ وماذا كان يفعل فى الكوخ ؟ ..
ــ لقد ذهبت اليه لصيد البط .. ولكن لماذا ادعى انه عامل ريفى ؟ .. اننى أخشى أن يكون (صاحبنا) الاخر على لة به وكان يعرف الى اين تأخذانه ..
ــ لقد كان الضباب كثيفا يا مريديث ، ثم انه كان بين الحياة والموت .
ــ ولكن لابد ان هناك رسالة ما كانت حول الحجر .. نما كان يحطم نوافذ الناس لمجرد التسلية ..

ـ حسنا . . انا لم نجد شيئا . . كذلك فهمت
ان دوريس لم تنجح فى ذلك ايضا . . ولا تنس يا مريدت
ان كل ما يهمنا من امر هذه الرسالة هو الا يعثر عليها
البتة ، والا كنا فى خطر . .
ـ انى ما كنت ابالى بالامر لو كان هذا عاملا ريفيا حقـ
اما وهو من هو فقد تغير وجه الامر . .
فقال الالمانى فى هدوء : لقد فتشنا الكوخ جيدا فلم
شيئا . . والآن اصغ الى يا مريدت . . ينبغى ان تكون
هدوءا ورباطة جاش . . واذا كان المستر ارلو هذا وا
منهم فلماذا لم يذهب صاحبه الى الكوخ مباشرة ، او لماذا
يصرخ مستنجدا ؟ . . كلا يا عزيزى . . انك تقلق نفـ
بغير داع . .
ـ ربما كنت على حق . . فلننتظر حتى تحضر دوريـ
ـ هذا يذكرنى بشىء كنت اريد ان اسالك فيه . . ف
نحن صانعون بهذه الفتاة عندما تفرغ من مهمتها ؟
ـ ما سنفعله بالاخرين . .
ـ لقد لاحظت اخيرا انها غدت اشد فضولا ، وتحا
بشتى الوسائل ان تعرف ما يعرفه الا اعضاء المجلس الا
فقط . . وعلى الاخص فيما يتعلق بموضع المركز الرئيـ
لنـــا . .
ـ انه فضول النساء لا اكثر ولا اقل . .
ـ ربما كنت على حق . . ومهما يكن من امر فهاهى
حضرت ، ولا بد لى من الاختفاء وعدم ظهورى امام هـ
الرجل . .
وراحا يرقبان السيارة من النافذة وهى تستقر امام
القصر ، حيث هبطت منهـــا الفتاة ، وسرعان ما كانت
الحجرة حيث قابلها الرجلان فى لهفة وتساؤل . . فقالت
هدوء : لقد تحققت انه لم يجد رسالة ما . . ولكن الذى لا انه

كيف وقعت فى هذا الخطا المزرى يا هرفايت ؟ . . لقد
ارتبك هذا الصباح عندما رأيته ، واضطررت الى تعديل
باكملها للفور . .
فقال مريدت : هل كان من الحكمة ان تحضره الى هنا ؟
كان ذلك لازما ، فقد حاولت اولا ان ادس له المخـــدر
فشلت . . ثم رحت ابحث فى الحديقة دون ان اجـــد
. . ولذلك كان ينبغى ان ادبر خطة جديدة لمعرفـــة
لديه . . والان اصغ الى يا مستر مريدت ، يجب ان تهبط
. . فانت خالى ، والامـــر كله يتعلق بابنك هارولد
ظف بوزارة الخارجية ، والذى اختطفته جمعية المفتـــاح
فاجفل اميل وصاح : يا للسماء ! . . هل اخبرته بذلك
ـ بلا شك . . ولكنك لا تستطيع ان تفهم لغبائك ان هذا
جل ليس مزارعا او عاملا كما ظننت . . فهو رجل مثقف
ن يسكت على ما حدث فى الليلة الماضية الا اذا فعلنا شيئا
مكنه ، وما ذلك الشىء الا ان نثير عطفه وشفقته ، وهـــذا
فعلته ، وهاك كيف فعلته . .
ثم راحت تقص عليهما ما حدث فى الصباح ، وما قالته
بين . . فلما فرغت من قصتها قال مريدت :
ـ لعمرى يا عزيزتى ما كان يمكن ان تفعلى خيرا مـــن
ك . .
واستطردت الفتاة : فاذا لم يصل الرد على برقيته فمعنى
ك انه حتى لو كانت هناك رسالة ما فلا ريب انها قد فقدت
الابد . .
وتمهلت لحظة قبل ان تردف فى نبرات جامدة :
ـ اما اذا كانت هناك رسالة ما ، فمن حق المستر ارلو
تقدم له كاسا من الشراب . وستتوقف طبيعة هذا الشراب

على ما فى الرسالة ..
فابتسم اميل ، وربت مريديت على كتف الفتاة مشجع
فاستطردت :
ــ والان هيا بنا ايها الخال العزيز حتى لا يدهش الر
من غيبتنا .. ولا تنس انك محطم الفؤاد لما اصاب ابن
الوحيد .. وبهذه المناسبة كم تظن يا هرفايت ان سيط
الامر .. ؟
ــ ثلاثة أيام او اربعة .. ولن تزيد عن اسبوع بحال
الاحوال .. فقد انهارت قواه تقريبا كما علمت هذا الصباح
ووجدا لوبين يتظاهر بالنعاس فوق عجلة القيادة ، ف
مريديت يشكر له فى نبرات حزينة ما فعله من اجل دور
الصغيرة ، ثم استطرد يسأله ان كان له ان يطمع فى المزيد
كرمه فيقبل الانتظار حتى يصل رد برقيته .. فاسرع لو
يعرب عن قبوله ذلك عن طيب خاطر ..
ولم تمض دقائق حتى صاح لوبين :
ــ بالله .. ! لقد جاءت البرقيــة بأسرع مما قدرت
فهاهو الموزع يدنو بدراجته من القصر ..
فاسرعت دوريس لاستلام البرقية ، وفضها ، وعا
اليهما وعلى وجهها علامات الحيرة الشديدة ، فصاح مريد
ــ حسنا يا عزيزتى .. ! ماذا بها .. ؟
ــ انها من مسز اسكديل تماما .. ولكن يخيل الى
ليست بذات معنى .. فهى تقول انها وجدت ورقة فى الحذ
كتب عليها س . ب . ز .. وبضعة حروف أخرى قد ت
العشرة .. ويلى ذلك توقيعها ..
وكان لوبين يتفرس فيهما فادرك امد حيرة الفتاة ودهشـ
غير مفتعلة .. ولكنها ما لبثت أن صاحت فى جذل :
ــ لقد فهمتها أيها الخال العزيز .. فانها مكتوبة بالشـ
التى كان هارولد يستعملها معى عندما كنا اطفالا . . و

لدى فى حجرتى ..
وانفلتت تعدو الى حجرتها .. فاشعل لوبين لفافة راح يدخنها فى تلذذ ومرح .. وما لبثت الفتاة ان عادت هاتفة :
ــ لقد وجدتها .. فهذه الحروف تدل على اسم موضع معين .. لله ما ابرع هارولد !
فقال لوبين فى اهتمام : وما اسم هــذا الموضــع يا مس فيتابلز .. ؟
ــ كسنجلاند .. واظننى سمعت عن بلدة بهذا الاسم ..
ــ اجل .. وهى تبعد بضعة اميال عن لوستوفت على الساحل .. فهل تعتقدين ان معنى هذه الحروف ان ابن خالك قد اقتيد الى هذه البلدة ؟
ــ وماذا يمكن أن تعنى غير ذلك يا مستر ارلو .. لاريب ان هناك بعض الاكشاك البحرية المهجورة وقد سجن فى احدها.
فغمغم مريديت وهو يمر بيده على جبينه : يا بنى المسكين ماذا افعل الان .. ؟
فتظاهر لوبين بالتفكير لحظة ، ثم قال :
ــ الا يمكن أن افيدك فى شىء يا مستر مريديت .. ؟ اننى لا اعرف ابنك ولكن فى وسعى ان اذهب الى كسنجلاند للتحرى عن مصيره . .ولا تنس ان ظهــور اى اجنبى فى تلك البلدة يكون ملحوظا من سكانها ..
فصاحت الفتاة : ولكن يا مستر ارلو .. اننا لا يمكن أن نكبدك هــذا العناء .. ثم انك مدعو الى العشاء فى لنــدن الليلة و . . .
فقاطعها لوبين قائلا فى احتجاج :
ــ لا تقولى ذلك ايتها الانسة .. وفى وسع هذا العشاء ان ينتظر يومين او ثلاثة فان المرء ينبغى ان يضحى بكل شىء فى مثل هذه القضيــة فى سبيل مساعدة الملهوفين .. وسوف ارحل فى الحال الى كسنجلاند وسابرق لكم بنتيجة ما يصل

اليه بحثى ..

فقال مربديت فى صوت كسير :

ـ اننى لا ادرى كيف اشكر لك هذا الصنيع يا سيدى .. ولو كانت صحتى ..

ـ لا تفكر فى شىء البتة يا مستر مربديت .. فان مكانك هنا ، مع ابنة اختك ..

وصحبته الفتاة الى السيارة وصافحته ، فضغط على يدها وهو يهمس :

ـ هل لى أن احضر لك بنفسى الانباء السارة يا عزيزتى ؟

ـ بلا ريب .. وانه لجميل أن تجشم نفسك هذا العناء فى سبيل شخصين غريبين ..

ـ غريبين ؟ .. كيف تقولين ذلك يا .. يا دوريس ؟ ..

فلما اختفت السيارة فى الطريق الرئيسية تحول مربديت الى الفتاة هاتفا :

ـ ما هذه اللعبة بحق الشيطان ؟ .. واى شفرة تتحدثين عنها ؟ ..

فأجابت الفتاة فى سكينة ، وكان الالمانى قد انضم اليهما :

ـ ألا تعرف ما جاء فى هذه البرقية ؟ .. انها وجدت ورقة فى الحديقة كتب عليها « س ب ز ا ل ت ر ب ت ى . اسكدبل » .. ولا ريب انها مكتوبة بالشفرة حقا ..

ـ ولكن ماذا ؟ .. لماذا كسنجلاند بالذات .

ـ آه ! .. انك سريع النسيان يا مستر مربديت .. الم اقل لارلو انه اذا كانت هناك رسالة ما فلا ريب انها تحمل اسم المكان الذى يأخذون هارولد اليه ؟ .. وعلى ذلك فان اى مدينة يتركب اسمها من احد عشر حرفا تفى بالغرض .. وقد كنت واثقة أنه سيتطوع بالبحث فاخترت كسنجلاند لانها لا بالقريبة ولا بالبعيدة ، وعلى الاقل تبعده عنا يومين أو ثلاثة . فقمقم الالمانى وهو ينعم النظر فى البرقية :

ـ يا لله يا مربديت ! .. ان الفتاة شديدة البراعة حقا .. ولكنى اعجب ما الذى تدل عليه هذه الحروف تماما ! ..

فقالت الفتاة :

ـ اننى لا اشك البتة فى انها تحمل عنوان مركزكم الرئيسى

ـ اذا كان الامر كذلك حقا يا عزيزتى فقد احسنت بابعاد هذا الفر الى كسنجلاند !

وفى سكينة تامة راح يمزق البرقية اربا ، ثم دس القصاصات فى جيبه ..

- ٤ -

كان لوبين جالسا فى بهو فندق العنكبوت ظهر ذلك اليوم عندما وافاه صديقه بيتر داريل ، فصاح به :

ـ ما معنى هذه الدعوة العاجلة بالله عليك ؟ .. ولماذا تركت صيد البط وعدت الى لندن ؟ .. لقد حرمتنى من الغداء مع صديقتى ماريوت ..

ـ لا بأس يا بيتر يابنى ! .. فقد كنت هذا الصباح مع ملاك هبط من السماء بين ذراعى ، ملاك شديد البراعة وحدة الذكاء ..

ـ ادعوتنى لتقول لى ذلك فقط ؟ .. من هذا الرجل ؟.

ـ انها سيدة يا بيتر .. بارعة الحسن شديدة الفتنة ، ولها خال كهل .. وكانت فى لهفة شديدة على أن تصلها برقية معينة .. ولكنى اراك لا تفهم شيئا ، فلنبدأ من البداية ..

وراح يقص عليه ما حدث منذ منتصف الليلة الماضية ..

فلما فرغ قال داريل :

ـ ولكن ما هذه الرسالة الثانية ؟ .. لقد فهمت انك احرقت الاولى التى وجدتها فى النافذة ، فما هذه الاخرى التى وجدتها مسز اسكدبل ؟ ..

ـ ان مسز اسكدبل لم تجد شيئا البتة يا بيتر ! .. وعندما اخبرتك اننى ابرقت الى مسز اسكدبل ، لم اضف

الى ذلك انني اوحيت الى هذه السيدة الطيبة بنص الرسالة التى تبعث بها .. وقد كنت حائرا فى اختيار هذه الرسالة حتى وقعت انظارى فى مكتب البريد على صحيفة خاصة بسباق الخيل فأوحت الى بالفكرة ، ومن ثم كانت برقيتى الى مسز اسكديل (ابرقى الى مريديت هارتلى كورث كمبردج بما يلى : وجدت ورقة فى الحديقة كتب عليها س ب ز ا ل ق ت ر ب ت ى . اسكديل) وهذه الحروف ليست سوى الرموز الخاصة بالخيل ..

— وكيف بحق السماء صنعت الفتاة منها اسم بلدة كسنجلاند ؟ ..

لان مس دوريس فينابلز كما قلت لك فتاة وافرة الدهاء والفطنة يا بني ، وكانت تريد أن تتخلص منى ، وتعدنى حجر عثرة فى سبيلها منذ ان شاءت الصدف أن تضعنى فى طريق عصابتها .. ولا ريب انها تعتقد انني قد صدقت تلك الاقصوصة التى ذكرتها لى عن هارولد .. وقد كنت متشككا فى امرها حتى جاءت هذه الاكذوبة الضخمة عن الشفرة التى كانت تستعملها مع هارولد ، والتى خرجت منها ببلدة كسنجلاند ، اذ ان هذه الكلمة مركبة من احد عشر حرفا مثل حروف الرسالة المزعومة ..

— وما هى خطتك الان ؟ ..

— سوف نذهب بعد الغداء الى كسنجلاند ، حيث لانعدم ان نجد شخصا يمكننا أن نعهد اليه ببضع برقيات ليرسلها تباعا فى مواعيد نحددها له ، أذكر فيها انني لا ازال ابحث ، ثم انني اهتديت الى اثر .. وهكذا .. ومتى فعلنا ذلك عدنا الى لندن فى المساء .. ولعلنا اذا قمنا بتفتيش هارتلى كورث تفتيشا دقيقا اثناء الليل أن نصل الى شيء ذى بال .. فانى اعتقد يا بيتر ان الامر اكثر من ان يكون جريمة عادية لا اهمية

لها ..

— هل تعنى انها جريمة سياسية ؟ .. تختص بالجاسوسية فعلا ؟ ..

— هذا ما اعتقده يا بنى .. وفى رأيى ان جمعية المفتاح الفضى ذات صلة حقا بهذا السر ..

— انني اعرف احد رجال المخابرات ، رونالد ستاندش. فما قولك فى ان تدعوه الى تناول العشاء معنا الليلة ؟..

* * *

— انها فكرة موفقة ، فاذهب واتصل به الان ..

وقد أصابا من التوفيق فى كسنجلاند اكثر مما كانا يحلمان به ، اذ التقيا منذ وصولهما برجل يعرفه كلاهما ، من اهالى لندن ، وكان يقضى فى البلدة بضعة ايام لقضاء مهمة تجارية فيها .. وسرعان ما رضى بأن يرسل البرقيات التى كتبها له لوبين ووضع على كل منها الساعة التى ينبغى أن ترسل فيها ..

وفى اثناء عودتهما اقترح لوبين ان يعرجا على كوخ مرضعته ليخبرها انه سوف يتغيب اياما قليلة حتى لا تقلق اذا لم يعد ..

فلما اوقف السيارة امام الكوخ هبط منها قائلا لصديقه انه سوف يعود فى الحال .. ثم فتح السياج ومضى يجتاز الحديقة يهتف مناديا العجوز ، دون ان يسمع جوابا منها ودون ان يخف كلبه جيرى لاستقباله ..

فلما بلغ باب الكوخ ، وقف جامدا لحظة ، ثم استدار قائلا : تعال يا بيتر ..

فأسرع درايل ووقف بجواره فادرك السبب الذى جعل الكلب لا يخف لاستقبال سيده .. اذ كان جيرى المسكين ملقى على الارض وقد اخترقت رأسه رصاصة قاتلة ..

وكان يذرع الحجرة بنظراته ، واذا به يصيح دهشة ، ثم يمضى الى المائدة ويلتقط قفازا موضوعا فوقها . . وهو يقول :

ــ اترى هذا القفاز يا بيتر ؟ .. انه الذى كانت دوريس فينابلز ترتديه هذا الصباح .. ترى ما الذى حدث هنا بحق الشيطان ؟ ..

ــ لعلها عادت لتتحقق من صدق البرقية والرسالة ..

ــ ولكن لماذا تقتل جيرى ؟ .. ثم ان مربيتى العجوز ..

وعندئذ بلغ سمعهما صوت غطيط عال ينبعث من الطابق الاعلى ، فاسرعا يرتقيان الدرج حيث وجدا به لدهشتهما : مسز اسكدبل مستلقية فى فراشها ، بثيابها كاملة ، وقد راحت فى سبات عميق .. وكان من الجلى أن العجوز قد اعطت مخدرا قويا .. فقال لوبين :

ــ يا للانذال .. ! سوف يكون لى معهم شأن ، اى شأن ولكن كيف حملت الى ذلك الطابق .. ؟ ان الفتاة وحدها لا تستطيع أن تحمل امراة غائبة عن الصواب فوق هذا الدرج .. ومن الذى قتل الكلب .. ؟ ولماذا .. ؟ لقد كانت مس فينابلز تلاعبه هذا الصباح فى الحديقة ولا يمكن ان تكون هى التى قتلته ..

ــ هل تظن انها لم تكن وحدها .. ؟

ــ لا ريب انهم جاءوا جميعا ليروا الرسالة باعينهم ، فحدث ما نراه ..

وكان لوبين واقفا بجوار النافذة ، فضاقت عيناه فجأة ، وراح يحدق النظر الى نقطة معينة ، ثم قال :

ــ اترى هذه الخميلة التى على الجانب الاخر من الطريق ؟ ان شيئا يتحرك بداخلها يا بيتر ، وأراهنك على انه رجل مختبىء هناك .. بل انه رجل حقا ، فقد رأيت وجهه الان ..

وطلب لوبين الى صديقه ان يظل بالحجرة ويتظاهر

بالتحدث الى شخص آخر ، حتى لا يفطن الجاسوس الى انفراده بها ، ريثما يتسلل لوبين من الباب الخلفى للكوخ ، فيباغته ويقبض عليه ..

ونجحت الخدعة ، فلم تمض بضع دقائق حتى كان لوبين يعود الى الكوخ وهو يجر الرجل من عنقه ، فقابلهما داربل عند الباب ، وعجب اذ رأى الرجل غير ما كان يتوقع أن يراه ، اذ كانت اناقة ثيابه تنم على انه ليس من اللصوص او قطاع الطريق .. بل الاعجب من ذلك انه كان يصخب وينذر لوبين بابلاغ البوليس عن هذا الاعتداء الشنيع ..

فأجابه لوبين : دعك من هذا الهراء وادخل معنا ، فاننا نمثل القانون هنا الان .. واعلم انه اذا سولت لك نفسك الفرار فسوف اطلق النار عليك ..

وكان غطيط مسز اسكدبل مسموعا فى الكوخ ، فرأى لوبين فى أسارير الرجل لمحة خاطفة من الارتياح اكتسى وجهه بعدها ذلك القناع الجامد كما كان ..

فاشار لوبين الى جثة الكلب وقال : هل أنت الذى قتلته؟

ــ كلا .. فانها المرة الاولى التى الج فيها باب هذا الكوخ ..

ــ ولماذا كنت مختبئا تراقبه .. ؟

ــ لاننى اعتزم شراءه .. ولا زلت اطلب ايضاحا عن هذا الاعتداء ..

ــ سوف نقدم لك هذا الايضاح للتو .. وسنرى اذا كنت ستظل مصرا على هذا السخف الى النهاية .. آه .. ! يا لك من نذل .. !

وفى مثل وميض البرق كانت يد لوبين قد ارتفعت ثم هوت على يد الرجل التى اخرجها من جيبه بغتة ، فسقط منها خنجر مرهف النصل .. وسرعان ما أمسك بالرجل

وكان يذرع الحجرة بنظراته ، واذا به يصيح دهشة ثم يمضي الى المائدة ويلتقط قفازا موضوعا فوقها .. وهو يقول :

ـ اترى هذا القفاز يا بيتر ؟ .. انه الذى كانت دوروس فينابلز ترتديه هذا الصباح .. ترى ما الذى حدث هنا بحق الشيطان ؟ ..

ـ لعلها عادت لتتحقق من صدق البرقية والرسالة ..

ـ ولكن لماذا تقتل جيرى ؟ .. ثم ان مربيتى العجوز ..

وعندئذ بلغ سمعهما صوت غطيط عال ينبعث من الطابق الاعلى ، فاسرعا يرتقيان الدرج حيث وجدا به لدهشتهما : مسز اسكديل مستلقية فى فراشها ، بثيابها كاملة ، وقد راحت فى سبات عميق .. وكان من الجلى أن العجوز قد اعطت مخدرا قويا .. فقال لوبين :

ـ يا للانذال .. ! سوف يكون لى معهم شان ، اى شان ولكن كيف حملت الى ذلك الطابق .. ؟ ان الفتاة وحدها لا تستطيع ان تحمل امراة غائبة عن الصواب فوق هذا الدرج .. ومن الذى قتل الكلب .. ؟ ولماذا .. ؟ لقد كانت مس فينابلز تلاعبه هذا الصباح فى الحديقة ولا يمكن ان تكون هى التى قتلته ..

ـ هل تظن انها لم تكن وحدها .. ؟

ـ لا ريب انهم جاءوا جميعا ليروا الرسالة باعينهم ، فحدث ما نراه ..

وكان لوبين واقفا بجوار النافذة ، فضاقت عيناه فجأة ، وراح يحدق النظر الى نقطة معينة ، ثم قال :

ـ أترى هذه الخميلة التى على الجانب الاخر من الطريق ؟ ان شيئا يتحرك بداخلها يا بيتر ، وأراهنك على انه رجل مختبيء هناك .. بل انه رجل حقا ، فقد رايت وجهه الان ..

وطلب لوبين الى صديقه ان يظل بالحجرة ويتظاهر

بالتحدث الى شخص آخر ، حتى لا يفطن الجاسوس الى انفراده بها ، ريثما يتسلل لوبين من الباب الخلفى للكوخ ، فيباغته ويقبض عليه ..

ونجحت الخدعة ، فلم تمض بضع دقائق حتى كان لوبين يعود الى الكوخ وهو يجر الرجل من عنقه ، فقابلهما داريل عند الباب ، وعجب اذ راى الرجل غير ما كان يتوقع أن يراه ، اذ كانت اناقة ثيابه تنم على انه ليس من اللصوص او قطاع الطريق .. بل الاعجب من ذلك انه كان يصخب وينذر لوبين بابلاغ البوليس عن هذا الاعتداء الشنيع ..

فأجابه لوبين : دعك من هذا الهراء وادخل معنا ، فاننا نمثل القانون هنا الان .. واعلم انه اذا سولت لك نفسك الفرار فسوف اطلق النار عليك ..

وكان غطيط مسز اسكديل مسموعا فى الكوخ ، فرأى لوبين فى أسارير الرجل لمحة خاطفة من الارتياح اكتسى وجهه بعدها ذلك القناع الجامد كما كان ..

فاشار لوبين الى جثة الكلب وقال : هل أنت الذى قتلته؟

ـ كلا .. فانها المرة الاولى التى الج فيها باب هذا الكوخ ..

ـ ولماذا كنت مختبئا تراقبه .. ؟

ـ لاننى أعتزم شراءه .. ولا زلت أطلب ايضاحا عن هذا الاعتداء ..

ـ سوف نقدم لك هذا الايضاح للتو .. وسنرى اذا كنت ستظل مصرا على هذا السخف الى النهاية .. آه .. ! يا لك من نذل .. !

وفى مثل وميض البرق كانت يد لوبين قد ارتفعت ثم هوت على يد الرجل التى اخرجها من جيبه بغتة ، فسقط منها خنجر مرهف النصل .. وسرعان ما أمسك بالرجل

بين يديه القولاذيتين ، وطلب الى صديقه ان يحضر حبلا ، ثم تعاونا على شد وثاقه جيدا على احد المقاعد .. واخرج لوبين منديله فكمم به الرجل الذى كان ينظر اليه مشدوها وقد لاح القلق والجزع فى عينيه ..

فأخرج لوبين بعد ذلك من جيبه اسطوانة قصيرة من المطاط وهو يقول :

— سوف تطلق هذه العصا السحرية لسانك يا صديقى ، متى ذقت طعمها على فخذيك وما عليك الى ان تشير لى بالكف عندما تنوى ان تتكلم ..

وكانت عينا الرجل تدوران فى محجريهما فى الم وذهول كلما هوت قطعة المطاط على جسمه ، واخيرا اشار براسه فى قوة ، فتوقف لوبين واشار الى داربل ان ينزع الكمامة عن فمه قائلا : هل عولت على الكلام اخيرا ؟ .. حسنا .. ولكنى انذرك بانك اذا كذبت علينا فسوف اذيقك ما لا تنساه فى حياتك قط ..

فغمغم الرجل فى فزع : ما الذى تريد أن تعرفه ؟ ..

— ما الذى حدث بعد ظهر اليوم ؟ .. وماذا كانت مس فينابلز تفعل هنا ؟ ومن الذى خدر العجوز ؟ .. ومن الذى قتل الكلب ؟ ..

— اننى لا اعرف ماذا حدث هنا . . وقد كانت هنا احدى الفتيات ، ويحتمل أن يكون اسمها فينابلز ، أما سبب حضورها فلا أعرف عنه شيئا .. ولكن اثنين منا تلقيا امرا بأن ..

— من الذى اصدر اليكما هذا الامر ؟ ..

فتردد الرجل لحظة ثم قال :

— هل تدعنى اذهب اذا ما أخبرتك بكل ما اعرفه ؟ ..

— سوف ننظر فى ذلك فيما بعد .. من الذى أصدر لكما هذه الاوامر ؟ ..

— اننا لا نعرف اسمه ، كما اننى شخصيا لم اره قط .. وقد اعتاد ان يصدر لنا اوامره تليفونيا .. وفى هذه المرة امرنا بأن نذهب الى فندق فى كمبردج وننتظر تعليمات جديدة منه .. وهناك انضم الينا رجل لم اره من قبل واحضرنا بالسيارة الى هنا .. وكانت سيارة الفتاة تقف امام الباب ، فمضى الرجل الى الكوخ حيث كانت الفتاة جالسة تتحدث مع العجوز ، فما كادت تراه حتى شحب وجهها وتعلقت بذراع العجوز كانما تستنجد بها .. وفى تلك اللحظة زمجر الكلب فاطلق عليه الرجل رصاصة صرعته . . وحاولت الفتاةالهرب ولكنا قبضنا عليها بجوار السياج وأعدناها الى هنا حيث حقنها الرجل فى ذراعها بمادة مخدرة كما فعل بالعجوز .. وعندئذ امرنا بأن نحمل العجوز الى فراشها والفتاة الى سيارته .. وبعد ذلك مضى لشانه بعد ان امر زميلى بأن يقود سيارة الفتاة الى كمبردج ، كما امرنى بأن أكمن فى الطريق لاراقب الكوخ .. وهذا كل ما أعرفه ..

فأشعل لوبين لفافة ، ونظر الى داربل قائلا :

— ما رأيك فى اكاذيب هذا الوغد يا بيتر ؟ ..

— ربما كان صادقا ؟ .. ولكن هل من عادتك يا صديقى ان تطيع اوامر زعيم لم تره قط ، اذ كان فيها ارتكاب جرائم من هذا القبيل ؟ ..

— اننى شخصيا لم ارتكب شيئا .

— هل هناك كثير من زملائك فى هذ هالعصابة ؟ اجل !..

فقال لوبين فجأة : اهى جمعية المفتاح الفضى ؟ ..

فحدق الرجل اليه النظر فى دهشة ، وقال : اننى لا اعرف ماذا تعنى ..

انه بارع فى التظاهر بالدهشة يا بيتر .. الا اذا كانت قصة المفتاح الفضى من ابتكار مس فينابلز الحسناء . . والا كان هناك عصابتان مختلفتان ..

ثم تحول للرجل واستأنف استجوابه :

ــ هل يمكنك ان تصف لى الرجل الذى حضرتما م الى هنا ؟ ..

ــ انه متوسط القامة ، اسود العينين ، ذو وجه مكتن

ــ انها صفات تتفق مع زائرى ليلة الامس يا بيتر والان ماذا ترى أن نصنع بهذا الوغد ؟ ..

فصاح الاسير فى قلق : بالله عليكما ايها السيدان لاتسل الى البوليس .. لا خوفا من السجن ، ولكن لو اذيع ا بحت لكما بما قلت لفقدت حياتى لا تساوى قلامة ظفر ..

ــ حسنا .. سوف ننظر فيما نفعله بك بعد ان نتح من أن مسز اسكديل على ما يرام .. تعال معى الى فو يا بيتر ..

فلما انفردا فى حجرة العجوز ، استطرد لوبين قائلا :

ــ اننى اميل الى تصديق الرجل يا بيتر ، فليس فى وس أن يخترع هذه القصة عفو الخاطر .. ولكنى لا افهم س قدوم الفتاة الى هنا ، اذ لم يكن ثمة ما يدعوها الى التحق من امر الرسالة ..

ــ سوف نعرف ذلك عندما تفيق مسز اسكديل من ا المخدر . .ولا ريب أن سباتها سوف يطول ، وما عليك الا ا تكتب لها ورقة بأننا سنعود فى الصباح وعليها الا تقول لا شخص حتى تقابلها ..

ــ ان قلبها على ما يرام ، ولا اظنها فى خطر ما . .

واخرج لوبين مفكرة من جيبه راح يخط فيها بعض الكلمات ، بينما ذهب داريل الى النافذة وما لبث ان صاح :

ــ آه .. يبدو أن هذا العملاق فى عجلة .. انظر يا لوبين

فانضم اليه لوبين ، واذا به يرى رجلا فارع الطول الى حد غريب مرتديا حلة سوداء ، يحث السير فى الطريق م ناحية الكوخ الى اليسار .. وما لبثا ان سمعا دوى محر

سيارة .. فقال لوبين :

ــ لقد كثرت السيارات هنا حتى لينبغى ان يضعوا بعض رجال المرور لتنظيم حركتها .. حسنا يا بيتر .. سوف نحمل اسيرنا معا ونلقى به فى الطريق ، ففى رأيى أنه لا يعرف اكثر مما قاله . .وعليك الآن ان ترغمه على حفر قبر فى الحديقة لكلبى العزيز ، ريثما أدثر مربيتى العجوز ببعض الاغطية ..

وبينما كان يقوم بهذا العمل سمع داريل يصيح فى صوت حاد :

ــ لوبين .. تعال سريعا بحق السماء .. !

فاندفع نحو الدرج ، ثم الى البهو .. وعندئذ رأى الاسير منكفئا فى مقعده بحيث لا يمنعه عن السقوط الا الحبل الموثق به .. بينما غاص فى قلبه خنجر طويل حتى المقبض ..

— ٥ —

كانت الدهشة التى انتابت لوبين من القوة بحيث عقلت لسانه عن الكلام لحظة .. فان مصرع هذا الرجل لم يكن متوقعا بحال من الاحوال .. كما انه وصديقه لم يسمعا اية حركة فى الطابق الاسفل عندما كانا مع العجوز بالحجرة العليا .. وقال لوبين :

ــ انه ذلك العملاق الذى رأيناه مسرعا فى الطريق منذ برهة .. ولابد انه طعنه من الخلف والا لاستفاق المنكود ..

ومضى الى المطهى ، اذ خطرت له فكرة مفاجئة ، فصح حدسه اذ وجد الباب الخلفى مفتوحا وعلى عتبته آثار أقدام موحلة .. فقال لداريل :

ــ لا ريب انه كان يقف هنا ، وسمع كل كلمة قالها هذا الرجل .. ولا ريب أيضا انه لم يقل الا صدقا والا لما قتلته العصابة . .ولكن لماذا يقتلونه الان بعد أن أفضى الينا بكل ما يعرفه .. ؟

— لعلهم أرادوا عقابه على خيانته .. ؟

— ولكن الانتقام لا تكون له روعته ما لم يعلم الضحي انه سوف يلقى جـــزاءه لا ان يقتل غيلة هكذا . كما ا كانوا يستطيعون الانتظار الى فرصة أخرى بعد رحيلنا دو ان يعرضوا انفسهم لخطر المجازفة بذلك ونحن فى الكوخ

وأخلد لوبين الى التفكير لحظة وما لبث أن صاح :

— لقد فهمت غرضهم يا عزيزى بيتر .. ! فانهم يريدو ارغامنا على ان نبلغ الامر الى رجال البوليس .. !

— ولماذا يريدون ذلك بحق الشيطان .. ؟

— حتى يرغمونا على الافضاء بكل ما نعرفه .. ولاشك انهم استطاعوا معرفة حقيقة البرقية التى ارسلها الى مس اسكديل ، والتى أجابت بها العجوز ، فايقنوا اننى كنت أغر بهم .. وما دام الامر كذلك فلا ريب اننى أعرف حقيقة الرسا وادرك تضليلهم .. وقد خيل اليهم اننى ما دمت لا أبلغ رجا البوليس نبأ هذه الجريمة فسأضطر لذكر ما حدث بالامس والادلاء بالنص الحقيقى للرسالة السرية .. وعندئذ يعرفو ما يسعون لمعرفته عن طريق الصحف .

— اتظنهم يقتلون رجلا فى سبيل ذلك .. ؟

— اذا كان للرسالة أهمية بالغة فى نظرهم فلا ريب انه يقدمون على ذلك .. ولكنى سأفسد عليهم هذه الفرص واقول لرجال الشرطة اننى حضرت الى هنا فوجدت الكلب مقتولا ، ومسز اسكديل فاقدة الرشد ، وذلك الرجل موثوق فوق المقعد والخنجر فى صدره ..

— وماذا نفعل بمسز اسكديل .. ؟

— سنأخذها فى السيارة الى مسكنى بلندن ، وريثما اذهب الى مركز الشرطة القريب من هنا ثم الحق بك فى لنـــدن فى موعد العشاء ..

* * *

واخذ الكونستابل الذى يراس نقطة البوليس يهز راسه متعجبا بعد ان فرغ لوبين من حديثه ، وما لبث ان غمغم :

— انها اعجب قصة سمعت بها .. هيا بنا يا سيدى ..

وصحبهما ثلاثة من الشرطة فى السيارة العتيقة .. فلم يمض عشرون دقيقة حتى كانت تقف بهم امام الكوخ .. فقفز لوبين فى المقدمة ، وما كاد يبلغ باب الردهة حتى وقف بغتة فى مكانه مصعوقا .. !

كان كل شىء بالكوخ على عهده به ، الا جثة الرجل المطعون بالخنجر ! .. فقد اختفت كأنما بسحر ســاحر .. كذلك اختفى قفاز مس فينابلز .

وران الصمت برهة حتى قطعه الكونستابل قائلا :

— لست ارى اثرا لجثة ما يا سيدى .. هل انت واثق انك تركتها هنا ؟ ..

— بلا ريب .. وقد رآها صديقى ايضا ..

— اننى أصدقك يا سيدى .. ولكن ربما غرر ذلك القتيل المزعوم بك .. ولا ريب انه من اللصوص ، وهو الذى قتل الكلب وخدر العجوز ، فلما شعر بقدومكما اوثق نفسه حيثما اتفق على احد المقاعد ، ثم دس الخنجر فى ثيابه بحيث يبدو غائصا فى قلبه .. فلما انصرفتما ركن الى الفرار ..

واعجب لوبين بحصافة الكونستابل وراقت له هذه الفكرة لولا انه يعرف انها ليست من الحقيقة فى شىء .. فهو يعلم أن الرجل لم يوثق نفسه على المقعد وانه لم يكن يحمل خنجرا آخر ..

وفى تلك اللحظة وقفت دراجة بخارية امام الكوخ ، وبدا فى بابه شاب حديث السن يبدو عليه الخجل والحياء ، فصاح به الكونستابل مداعبا :

— هاك حادث لصحيفتك ايها الفتى الصحفى .. ويمكنك

أن تضع له هذا العنوان : « من الذى قتل كلب الصيد ولماذا ؟ .. » ..

واستطرد ممثل القانون بعد ذلك قائلا للوبين :

ـ سوف لا ادع هذا الامر يمر يا سيدى ، ولابد أن انتق لكلبك المسكين هل تريد أن تعود معنا بالسيارة ! ..

وكان لوبين يعمل فكره وقتئذ على ضوء ظهور الصحفى الشاب ، واستقر عزمه على انتهاز هذه الفرصة ، فقال للكونستابل :

ـ شكرا يا سيدى .. سوف ابقى هنا ريثما ادفن الكلب ، ثم أعود مع مستر سيمور على دراجته ..

وما كاد رجال الشرطة ينصرفون حتى أفضى لوبين للصحفى الناشىء بجانب من حقيقة ما حدث ، وكيف استغفل العصابة وبعث اليها برسالة تختلف عن الرسالة الحقيقية ، وكيف انه يريد أن يمعن فى استغفالها من جديد .. وما لبثا أن أعدا معا مسودة المقال الذى سينشر بعنوان « أحداث عجيبة فى كوخ ريفى .. رسالة من الظلام » .. وقد جاء فيه أن المراسل علم من المستر ارلو المقيم فى لندن والذى يمضى بعض الوقت فى صيد البط بكوخ مربيته العجوز انه حدث فى الليلة الماضية بينما كان بمفرده فى الكوخ ان قذفت نافذته بحجر كبير حطم الزجاج ، وكان ملفوفا بقطعة من الورق سطرت عليها رسالة غريبة .. وكان الضباب من الكثافة بحيث لم يستطع مستر ارلو البحث عن الرجل الذى ألقى بهذه الرسالة .. فظنها مجرد مزحة من شخص ثمل ، الا انه عندما عاد للكوخ عصر اليوم وجد كلبه المدلل مقتولا برصاصة فى رأسه فاتصل برجال الشرطة الذين بدأوا تحرياتهم فى الموضوع .. ولست فى حل الآن من نشر محتويات هذه الرسالة الغريبة ..

واردف لوبين يقول للصحفى :

ـ سوف يحاول بعض الناس ان يتصلوا بك على اثر نشر هذا المقال ليعرفوا محتويات الرسالة السرية ، وما عليك الا ان تمعن فى ايقاظ فضولهم بمحاولتك لكتمان الامر .. واخيرا تقول لهم فحوى الرسالة كما ساخبرك به ولكن دعهم يعتقدون انك علمته من البوليس وليس منى .. أه . الرسالة المزيفة الجديدة فلتكن (روزمارى ب ج س د و ر) .

ـ ولكن ما هى الرسالة الاصلية ؟..

ـ سوف تعرفها فيما بعد يا بنى فلا تتعجل الامور .

وبعد أن قاما معا بدفن الكلب فى الحديقة ركب الفتى دراجته البخارية ، وجلس لوبين خلفه .. ولكن ما لبث أن جال بنظراته حواليه لحظة ثم قال للصحفى :

ـ عليك ان تخرج من البوابة فى سرعة عظيمة ثم تتجه الى اليسار .. واذا كنت لا تريد أن تقتل برصاصة فى يومك هذا فينبغى أن تنحرف يمينا ويسارا حتى تصل الى منعطف الطريق .

وفعل الفتى ما اشار به لوبين ، فما كادت الدراجة تخرج الى الطريق حتى انهال عليهما وابل من الرصاص طاش جميعه دون ان يصيب الهدف ...

وكان لوبين قد رأى رجلين يختبئان خلف احدى الاشجار بالقرب من الكوخ ، احدهما ذلك الرجل الفارع الطول الذى رآه من قبل مع داريل وهو يسرع بالخروج ، من الكوخ بعد قتل اسيرهما المنكود ...

* * *

وفى الساعة الثامنة كان يتناول العشاء مع صديقه بيتر داريل ، فى فندق العنكبوت بكمبردج ، وقد انضم اليهما رونالد ستاندش .. وكان بيتر قد حدثه قبل قدوم لوبين بالقصة كلها ، فأضاف اليها لوبين ما حدث بعد الظهر ،

وأردف يسأله ان كان يعرف شيئا عن هذه العصا
فأجاب :

ــ انني اعرف ما يكفي لكي تتوقعا الموت في كل لحظة
فقهقه لوبين في جذل وقال :

ــ لماذا ؟.. هل عرفت ذلك القاتل المحترف الف
الطول ؟

ــ كلا .. ولكني اعرف الكثير عن جمعية المفتاح الف
.. فاصغيا الي ..

لقد بدات هذه الجمعية تظهر في اوروبا عقب الحرب
اي في سنة ١٩٢١ واعتاد الاعضاء ان يضعوا في ياقة معاطف
مفتاحا فضيا صغيرا كشارة للعضوية ، وهو رمز اتخذ
ليشير الى انهم سيفتحون الباب المؤدي الى عالم افضل
يسوده السلام والطمأنينة وما لبثت هذه الجمعية ان اتس
نطاقها وامتدت فروعها الى فرنسا وبلجيكا ، واخيرا انجلتر
ذاتها .. وكان هدفها القضاء على معدات الحرب وممهداتها
بيد انهم لم يكونوا يلجأون الا الى الاجتماعات والخط
الحماسية فحسب ..

ولكن حدث منذ اربعة اعوام ان تطورت وسائل الجمعية
وبدات تسلك مسلكا غريبا .. فقد حدث أن كنت وقتئذ اقو
بعمل هام في وزارة الحرب ، فاذا برجل يطلب مقابلة اي
شخص ليدلي اليه بمعلومات هامة .. فلما قابلته ورأيت ذلك
المفتاح الفضي ادركت انه من أفراد الجمعية .. وما كان اشد
دهشتي عندما قدم لي اوراقا بها تفاصيل صنع مادة شديدة
الانفجار اخترعها الفرنسيون .. وكنت اعلم ان العلماء في
فرنسا يقومون بتجارب في هذا المضمار . فايقنت ان المعلومات
التي جلبها لي الرجل صحيحة كل الصحة .. ولكن عجبي
تضاعف عندما رفض الرجل ان يبوح لي بعنوانه ، او يتقاضى
اجرا على عمله هذا ، وما لبث ان انصرف وتركني مشدوها..

ولكن لم تمض اسابيع على ذلك حتى فوجئنا بامر غريب ، هو أن صورة كاملة من هذه المعلومات قد وصلت بمثل هذه الطريقة الغامضة الى كل من المانيا وايطاليا وامريكا واليابان بلا مقابل .. فادركنا ان الجمعية قد بدات تستخدم وسائل عملية في سبيل تحقيق مثلها الاعلى، وذلك بأن تسعى للحصول على المخترعات العسكرية الخطيرة لدولة ما وتنشرها بين سائر الدول العظمى وبذلك لا يكون لاحداها قصب السبق في امتلاك ناصية الامر اذا سولت لها نفسها أن تشهر الحرب..

ولم تلجأ الجمعية الى الوسائل الاجرامية الا بعد سنتين من ذلك .. ولعلكما تذكرون ما نشرته الصحف عن الرجل الذي وقد قتيلا بطعنة خنجر في الباخرة الهولندية .. فان الغريب في هذه الجريمة ان الرجل لم يوجد معه ما يدل على شخصيته ، اذ سرقت الاوراق التي كانت في جيوبه كما سرق جواز سفره .. وكان يبدو انجليزيا ولكن لم تثبت شخصيته بصفة قاطعة .. فلما وصلت السفينة الى ميناء هاروتش لم يستطع البوليس ان يكتشف القاتل بين ركابها فاكتفى بتسجيل أسماء الركاب جميعا وعناوينهم .. ولدى سؤال خادم القسم الذي كان القتيل نازلا به قرر ان المسافر كان يحمل حافظة لأوراق صغيرة من الجلد اللين يمسكها دائما بيده ، كما قرر حقيقة أخرى جعلتنا نزداد اهتماما بالامر ، وهي انه كان يعاون القتيل ذات يوم في ارتداء معطفه فرأى في الياقة مفتاحا فضيا صغيرا .. ومع ذلك فان هذا المفتاح لم يوجد في مكانه عند فحص الجثة وما عليها من ثياب ، مما يدل على ان القاتل كان قد نزعه واخفاه ..

وكنا نفكر فيما اذا كان الباعث على القتل ذا صلة بعضوية القتيل في جمعية المفتاح الفضي ــ اذ استبعدت السرقة لوجود نقود القتيل كاملة ــ وفيما اذا كانت الجمعية قد بدات تلجأ

الى العنف فى اعمالها ، عندما وصل الى اسكتلانديارد خط[...]
غفل من الامضاء يقول فيه مرسله :

« اذا اردتم معرفة الحقيقة فى مقتل المسافر على الباخ[...] الهولندية فابحثوا عن السبب الذى من اجله قتل مار[...] مارتينى بطعنة خنجر فى جنوا قبل جريمة الباخرة بيومين وما الذى كانت تحويه حافظة أوراق القتيل ؟.. ان جمعي[...] المفتاح الفضى لا تزال حريصة على مثلها العليا ولكن هنا[...] خيانة بين بعض زعمائها » ..

وكان ختم مكتب البريد « كنسجتون » .. كما كان ورق[...] الرسالة عاديا لا يحمل علامة ما .. ولذلك لم يستطع البولي[...] الاهتداء الى كاتبها ، فاتصل بالبوليس الايطالى بشأن جريمة جنوا وعندئذ علمنا لدهشتنا ان هذه الجريمة وقعت حقيقة وان ماريو مارتينى كان رساما ماهرا فى البحرية الايطالية وكان وقتئذ يشتغل بعمل رسوم سرية عن الغواصة التى اخترعها الايطاليون ، وكان المظنون انها تفوق الغواصات العادية الى حد بعيد ..

ولم نعرف السر فى سبب مقتل الايطالى والرجل الثانى الذى قتل بعده بيومين .. واذاعت سكوتلانديارد فى جميع الصحف تطلب الى مرسل الخطاب ان يتقدم اليها .. ولكن فى اليوم التالى وجد رجل ملقى فى حديقة منزل بكنجستون وقد دق عنقه .. وتبين انه يقطن بحجرة فى الطابق الرابع ، وزاره بعض الناس فى الليلة السابقة ولبثوا عنده الى وقت متأخر من الليل .. أما من هؤلاء الزوار فذلك ما لم يمكن لاحد ان يعرفه .. وقد تبين ان الرجل القى به من النافذة ، كما تبين من مقارنة خطه بالرسالة انه هو كاتبها .. ولم يكن له اقارب او اصدقاء ، كما لم يكن يغادر حجرته الا قليلا .. فلما وجدنا مفتاحا فضيا صغيرا فى أحد ادراج صوانه ، ادركنا ان الجمعية قد انتقمت من عضو خائن ..

ومن المحقق ان الجمعية قد انحرفت عن خطتها الاولى .. فقبل ذلك كانت تمنح الاسرار الخطيرة للدول جميعا .. ولكننا علمنا بعد ستة شهور ان فرنسا قدابتاعت سرالغواصة الايطالية لقاء مبلغ عظيم من المال .. وهكذا تحولت جمعية المفتاح الفضى الى عصابة اجرامية خطيرة ، دون ان يشعر تسعة وتسعون فى المائة من أعضائها العاديين بهذا التحول ، وانما كان قياد زعامتها قد تحول الى عصبة من الجواسيس الدوليين الذين لا يعفون عن القتل .. ولكنهم يستخدمون صغار الاعضاء ، ذوى الاغراض الطيبة الاصلية للجمعية ، فى تحقيق اغراضهم ثم يقتلونهم . فالرجل الذى قتل على السفينة كان يحمل رسوم الغواصة الايطالية الى البحرية الانجليزية كما حدث من قبل .. والرجل الذى دق عنقه فى كنجستون قتل لانه توصل بطريقة ما الى معرفة اشياء لا ينبغى ان يعرفها امثاله من الاعضاء العاديين .. اما ماريو مارتينى فقد قتل حتى لا يعطى الرسوم الى اعضاء آخرين كي يسلموها الى حكوماتهم فى الدول الاخرى كما جرت عليه عادة الجمعية

هذه هى الاستنتاجات التى وصلنا اليها بعد طول امعان الراى فى الحوادث الثلاث ..

فقال لوبين : ومتى وقعت هذه الحوادث ؟..

ـ منذ ثمانية عشر شهرا ، ولكنا لم نسمع شيئا عن الجمعية بعد ذلك ، ولذلك يخيل الى انها قد عادت الى نشاطها ..

ـ الا يمكنك ان تحدس ما هم وراءه الآن ؟..

ـ كلا .. فقد تركت خدمة المخابرات السرية منذ تسعة شهور ، ولكنى سوف اتصل بهم لاعرف المزيد من اخبار الجمعية ..

فقال داريل : هل تظن ان الرجل الذى قذف النافذة

بالحجر هو « مابو مارتيني » جديد فى انجلترا ؟..

فأجاب لوبين :

ـ ذلك محتمل .. ولكن من العسير أن تقتفى أثره .. وفى ظنى انه شخص آخر ، لاننا اذا فرضنا انه ذلك الخائن الذى باح بأسرار وطنه ، فلماذا يبعث بهذه الرسالة عبر النافذة ؟.. اذا كان قد اصيب بهذا الجرح العميق الذى تنم عنه بركة الدماء ، فلماذا لم يحضر الى الكوخ توا ويطلب النجدة من ساكنيه ؟.. بل لماذا يبعث برسالة رمزية لا سبيل الى حل شفرتها ؟.. الا اذا كان قد خشى أن يعثر عليه اميل وشركاه بعد ذلك فيقتلوه ويقتلوا معه ساكن الكوخ فلا تصل رسالته الى الذين يريد ان تصلهم .. ولكن الذى يثير العجب والحيرة فى نفسى انما هو مسلك الفتاة .. فقد دست لى المخدر فى الشاى ثم بذلت جهودا جبارة فى سبيل معرفة سر الرسالة .. وفى الطريق حدثتنى عن جمعية المفتاح الفضى فى براءة وسذاجة .. فلماذا ذكرت الجمعية اطلاقا ؟.. ولا تنسيا ما قاله لنا الرجل الذى قتل فى الكوخ من انها خدرت هى الاخرى مثل مسز اسكدبل ، وحملت الى سيارة المعتدين .. فلماذا يفعلون ذلك بها اذا كانت منهم ؟..

وفى هذه اللحظة حضر احد الخدم ليسأل عما اذا كان احدهم يدعى مستر لوبين ، اذ انه مطلوب بالتليفون ، فمضى لوبين فى أثره ، فقال ستاندش :

ـ انه على حق يابيتر ؟.. فلماذا عادت الفتاة وحدها الى الكوخ بعد الظهر ؟..

ـ لعلها ارادت ان تتحقق من البرقية ..

ـ وما الذى اثار ريبتها اذن ؟.. لقد اعتبرتها صحيحة فى الصباح ولذلك ضللت لوبين وارسلته الى كستجلاند ..

ـ الواقع اننى لا أكاد افقه شيئا من هذه المشكلة .. كما

اننى لا أعرف الدور الذى يلعبه ذلك الرجل المديد القامة ، وهل هو من المجرمين الدوليين الذين اشرت اليهم ..

وعاد لوبين اليهم بعد لحظة فقال ان مسز اسكدبل قد افاقت من سباتها وذكرت له ان الفتاة حضرت اليها بعد الظهر لترى الرسالة الاصلية فاخبرتها العجوز انها مزقتها وفى هذه الاثناء اقتحم الكوخ بعض الرجال وحقنوها فى ذراعيها فلم تدر شيئا بعد ذلك .. واردف قائلا :

ـ لا ريب ان عامل البريد قد تحدث عن البرقية التى ارسلتها مسز اسكدبل الى مريدبت ، وان الحروف التى بها ليست الا رموزا خاصة بالسباق ، فسمعه احد افراد العصابة وابلغ مريدبت ذلك ، ولذا عادت الفتاة لترى الرسالة بنفسها ..

ـ ولكن لماذا تبعها بعض افراد العصابة ؟.. ولماذا خافت لدى رؤيتهم وامسكت بالعجوز مستنجدة ؟.. بل لماذا خدروها وحملوها معهم ؟..

ـ ان الامر يستقيم لو فرضنا ان اميل وشركاه ارتابوا فى مسلك الفتاة ، وخشوا أن تكون فى الرسالة بيانات خطيرة لا ينبغى ان تعرفها ـ ولعلها من الاعضاء العاديين فى الجمعية ـ فاقتفوا اثرها وقبضوا عليها ..

ـ لا ريب اذن انها فى خطر ..

ـ وربما كان الامر كذلك حقا !..

فقال ستاندش : وما الذى ينبغى ان نفعله الآن ؟..

ـ هيا بنا نذهب الى البار ، لعلنا نستطيع ان نعرف شيئا من الساقية ..

ومضى الرجال الثلاثة فاتخذوا مجالسهم فوق المقاعد العالية للمشرب حيث راح لوبين يغازل الفتاة ويطرى جمالها .. واخيرا سألها عما اذا كانت قد رأت قصر هارتلى كورت ،

ومن صاحبه ؟.. فأجابت انه الدكتور بلفاج ، ولكنه يؤجره للغير .. واضافت الفتاة ان هذا الطبيب قد شطب اسمه من سجل الاطباء ، اثر فضيحة حدثت منذ عام ادت الى حرمانه من مزاولة المهنة .. ولكنها لا تعرف ابن يقيم الآن ..

وفيما كانت الفتاة ماضية فى ثرثرتها حانت منها لفتة الى الباب ، وما لبثت ان غمغمت :

ـ يا الهى !.. اذا ذكرت الشيطان جاءك يسعى !..

فقد دخل المشرب فى تلك اللحظة رجل قصير القامة ، متين البنيان ذو وجه مكتنز وعينين ضيقتين يشع منهما الخبث والدهاء .. واتخذ مجلسه على البار بجوار لوبين وزميليه .. وكان وجه لوبين جامدا لا يفصح عن شيء ، فقد راى فى ياقة معطف الدكتور بلفاج مفتاحا صغيرا من الفضة !.

ـ ٦ ـ

كان الدكتور بلفاج رجلا ثرثارا ، خصوصا اذا تناول شرابا .. فما كاد يجرع كأسه الاولى حتى بدأ لوبين وزميليه بالحديث ، وكان عاديا يتناول الجو وانواع الشراب ، ومالبث ستاندش أن سأله فجاة :

ـ معذرة يا سيدى اذا وجدت فى سؤالى شيئا من القحة .. ترى هل لهذه الشارة التى تضعها فى معطفك اية دلالة ؟..

ـ بلا شك ياسيدى .. انها شارة جمعية انتمى اليها ، وساذهب لحضور اجتماع لها الليلة بالذات ..

ـ حقا ..! لا ريب انها جمعية خيرية محلية ..

ـ انها ابعد ما تكون عن ذلك .. وارجو الا تعدنى مغاليا اذ قلت لك ان انصارها يملأون العالم ، وهى تتخذ المفتاح الفضى شعار لها رمزا على فتح باب عالم افضل واكثر امنا وسعادة .. ومعظم الناس هنا اعضاء فيها ، اذ اننا لا نقتضى

رسما للدخول ، والعضوية مفتوحة لجميع الطبقات بلا تمييز ..

ـ جميل .. جميل جدا .. سوف اطلب المزيد من المعلومات عنها فى فرصة اخرى ..

ـ هل لك ان تأتى معى لحضور اجتماع الليلة ، انت وصديقاك .. ان لكل عضو ان يحضر معه احد اصدقائه ، ولكنى استطيع ان اصحب ثلاثتكم ..

ـ انها مكرمة منك ياسيدى .. واين يعقد هذا الاجتماع؟

ـ فى قصر املكه ويدعى هارتلى كورت ، على بعد ثلاثة اميال من هنا .. وهو مؤجر فى الوقت الحاضر لواحد من الاعضاء الراسخين فى الجمعية نفسها ..

ونظر فى ساعته ، ثم اردف :

ـ ويحسن بنا ان نمضى الآن فالاجتماع سوف يعقد فى الساعة التاسعة والنصف ..

فقال لوبين وهو يهز راسه :

ـ اخشى الا يكون فى وسعى ان احظى بهذا الشرف ، لاننى مرتبط بموعد فى لندن يضطرنى للذهاب اليها الآن ..

وكذلك اعتذر درايل ، فقام الطبيب ومعه ستاندش وما لبثا ان غادرا الفندق ..

وعندئذ ناول لوبين صديقه قصاصة صغيرة من الورق كان ستاندس قد دسها فى يده منذ لحظة ، وقد جاء بها :

يحسن الا تحضرا فلعل هناك من يعرفكما .. ولكن كونا على استعداد فى الخارج اذ ربما يحدث ما ليس فى الحسبان ..

وترك لوبين ودرايل مكانهما فى المشرب ثم ذهبا الى البهو الداخلى ليستطيعا ان يتحدثا فى الامر قليلا على انفراد قبل ان يذهبا الى هارتلى كورت .. وفيما كانا يجلسان فى هدوء ودعة لمح درايل عينين متفرستين تحدقان النظر اليهما من

وراء الكوة الزجاجية التي بأعلى الباب ، فلفت نظر لوبين الى ذلك وما عتما أن اسرعا الى الخارج ولكنهما لم يجدا احدا ، فسأل لوبين البواب :

ـ هل كان هنا سيد طويل القامة جدا ..؟

ـ نعم ياسيدى ، وقد استقل سيارته منذ ثانية واحدة ومضى بها .. وهي سيارة طويلة سوداء اللون ..

فتحول لوبين الى صديقه ، بعد أن تركا البواب ، قائلا :

ـ اترى فى ذلك اصبع الدكتور بلفاج يابيتر ..؟

ـ ولكنه لا يعرفك .

ـ ربما وصفنى لهم فجاء هـذا العمـلاق ليتحقق الامر بنفسه .. وارى يابنى ان احـداثا جسيمة تحـدث الليلة فى هارتلى كورت خلف ذلك الاجتمـاع ، ولذلك ظهـر الدكتور بلفاج على مسرح الحوادث .. ولكن ياالهى ..! من هذا ..؟ الماجور جريجسون ..!

وكان القادم شابا طويلا عريض المنكبين وسيم الطلعة ، حيا لوبين فى بشر واحتفـاء فقـدمه لصـديقه بينما اردف لوبين :

ـ هل قدمت فى مهمة رسمية ياهمفرى ، ام ماذا ..؟

ـ ليس كذلك تماما .. ولكن ماذا تفعلان هنا ..؟

ـ نحاول ان نسطو على المقصورة المجاورة ..! ورونالد ستاندش كان معنا الآن ، ولكنه ذهب ليحضر اجتماعا لجمعية المفتاح الفضى ..

فوجم جريجسون لحظة ، ثم غمغم :

وما شأنه بهذه الجمعية يحق الشيطان ..؟

ـ لقد دعاه سيد رفيق الى الذهاب معه .. ولكن خبرنى ياجريجسون ، هل سمعت عن رجل يدعى الدكتور بلفاج .. أو مريديت أو المانى يدعى اميل ..

فصاح ضابط المخابرات :

ـ لست اعرف الاولين .. ولكن هل اميل متوسط القامة اسود العينين ، يدل مظهره على الخطر ؟.. حسنا ربما كان اميل ثابت .. ولكن خبرنى ما حقيقة الامر فانه يبدو لى أن الظروف قد جمعتنا فى قضية واحدة .

ولم يجبه لوبين للتو ، ولكنه قال بعد لحظة :

ـ ما هو عملك فى الجيش الآن ياهمفرى ؟..

ـ المخابرات السرية ..

ـ حسنا .. هل اذا ارسلت تقريرا او رسالة توقعه باسمك الصريح ؟..

ـ لا ادرى اذا كان فى وسعى الاجابة على هذا السؤال يالوبين ولكن لماذا ؟..

ـ الا يحتمل ان توقع تقريرك برمز مثل ٢ او ٣ مثلا ..

ـ ربما كان الامر شيئا من ذلك .

ـ حسنا .. لقد سألتنى عما زج بى فى هذه القضية ، واجيبك ان السبب هو ان شخصا يوقع بامضاء ا . ٥ . .

فصاح جريجسون دون وعى : آه !.. جنجر لوفلاس ..

ـ لقد القى برسالة فى كوخ كنت نزيلا به فى الليلة الماضية

ـ ولكن لماذا فعل ذلك ؟..

ـ لأنه كان جريحا جرحا خطيرا .. وكان اميل وعصابته يقتفون اثره ..

ـ بالله ! جنجر مصاب ؟.. ولكن اين هو الآن ؟..

فقص عليه لوبين ما مر من الحـوادث ، واخبره بنص الرسالة السرية ، ولكن الضابط لم يفهم شيئا منها ، وقال ان كل ما يعرفه عن جنجر لوفلاس انه منح اجازة لمدة شهرين ومعنى ذلك انه كلف بمهمة معينة .. ثم قال : لا اعرف الا انه كان فى بولنـدا بل لقد كنت اظن انه هناك حتى الآن ..

أما أنا ..
وخفض الضابط من صوته وهو يستطرد :

ـ اما أنا فقد جئت لمهمة غريبة .. فعلى أن اقابل امرأة هنا فى الساعة العاشرة ، فاسمع ما تريد ان تقـوله لى ، ثم اتصرف كما يبدو لى على ضـوء المعلومات التى سأتلقاها .. وها هى الساعة قـد شارفت العاشرة ولن تلبث المـرأة ان تحضر ...

ـ او لعلها لن تحضر ياهمفرى .. وقد بدأت ارى جيدا وسط الظلام .. الا تعرف وصف هذه المرأة ؟..

ـ كلا .. ولا يعلمه الرئيس بالمثل .. ولكنه كان يذكر جمعية المفتاح الفضى ، مما يدل على انك ايضا على صلة بهذه القضيـة .. ولكن هل تظنها الفتـاة التى رويت لى قصتها الآن ؟

ـ ربما كان الامر كذلك ؟.. ولعلهـا تعمـل فى ادارة المخابرات مثلك ..

ـ لا ادرى حقـا يالوبين .. ولم اسمع باسـم دوريس فينابلز من قبل .. ومع ذلك فسوف اتصل بالرئيس تليفونيا لاستفسر منه عن ذلك ..

وعاد اليهما بعد لحظة فقال ان الرئيس لا يعرف شيئا عن دوريس فينابلز ، كما ان المرأة التى اتصلت به لم تذكر اسمها .. وكان اتصالها به بعد الغداء ، وقد ذكرت جمعية المفتاح الفضى واميل فايت ...

ـ وهل هذا الالمانى معروف لكم ؟

ـ لقد كان يشغل مركزا رفيعا فى ادارة المخابرات السرية الالمانية اثناء الحرب العظمى اما الآن فانه جاسوس دولى ! يخدم من يدفع له اجرا على ... ولكن هيا بنا الى ذلك المنزل الذى يعقد به الاجتماع فان الساعة قد بلغت العاشرة والنصف دون ان تحضر المرأة .

وبعد لحظة كان ثلاثتهم يستقلون سيارة لوبين ويمضون بها نحو وكر الافعى !..

وقد حرص لوبين ان يسلك طريقا جانبيا ملتويا فى ذهابه الى هارتلى كورت ، وهناك رأى صفـا من السيارات ادرك لرؤيته ان الاجتماع لم ينفض بعد .. ولم يجد الرجال الثلاثة اى مشقة فى العثور على موضع منعزل بين الاعشاب كمنوا فيه وراحوا يرقبون القصر والاضواء المتلألئة فى القسم الخلفى منه حيث يعقد الاجتمـاع .. وكانوا يرون جانبا من الموائد التى مدت للمجتمعين ، ويرون رجلا ممتلىء الجسم يلقى خطابا طويلا ، ولكنهم لم يسمعوا حرفا واحدا مما كان يقوله .. واخيرا بلغ مسـامعهم صوت تصفيق حاد ، وقف على اثره مريديث ليلقى كلمته ..

واستطاعوا ان يروا كذلك رونالد ستاندش وهو يجلس بجانب الدكتور .

وانفض الاجتماع اخيرا ، وغادر المحتفون موائدهم ووقفوا فى حلقات صغيرة ، فدنا رونالد ستاندش من النافذة ، وهو يتحدث الى الدكتور بلفاج ، ثم اشعل لفافة من التبغ وادار ظهره الى النافذة ، فلمحوا ضوءا صغيرا يتحرك فى حركات متعاقبة ، فغمغم لوبين :

ـ آه !.. انه يرسل الينا اشارة بطريقة مورس ..

وبعد لحظة اردف : انه يقول : هل انتم هنا .. اجيبوا بصوت طائر ..

فاسرع بيتر داريل يقلد نعيب البـوم .. وعندئذ بدأت الاشارات من جديد وكان فحواها هذه المرة : « انتظروا سوف الحق بكم .. خطر .. »

وخطا ستاندش بعد ذلك الى داخل الحجرة ، وفى الوقت نفسـه كان المجتمعون ينفضون ، وقـد علا صوت محركات السيارات عند الواجهة الامامية للمنزل ..

وبقى الدكتور بلفاج ومريديت فى الحجرة ، على حين … يكن ينبعث من القصر وقتئذ اى ضوء آخر ، وكان يبدو … يتجادلان وقد ظهر الانفعال الشديد على الطبيب السا… حين راح مريديت يحاول ان يهدىء من ثورته .. وا… صاح الطبيب بعبارة سمعها الكامنون اذ قالها فى صو… حاد مرتفع :

ـ هذا جنون .. لماذا لم تخبرونى بالامر ؟..

وأخيرا انتهى جدالهما ،ودنا مريديت من النو… فأوصدها فى احكام .. وعندئذ طلب لوبين من زملائه… ينتظروه ريثما يقترب من المنزل لعله يكتشف وسيلة للدخو… ومضى نحو النافذة الموصدة وراح يختلس النظر خلال شق… مصاريعها الخشبية ، فاستطاع ان يرى الدكتور بلفاج و… يذرع الحجرة ذهابا وجيئة وقد قطب جبينه .. ولكنه و… فجأة وواجه الباب ، وعندئذ راى لوبين ظلا يسقط ع… الارض ، وتبعه رجل أسمر الوجه ذو وجنتين بارزتين وانف معقوف حدس لوبين للتو انه اسبانى .. فتقدم نحو الطبيب قائلا :

ـ كيف الحال يادكتور بلفاج ؟..

ـ كما كنت اتوقع .. فان هذا الرجل شيطان لا تلين له قناة ..

وسمع لوبين صوتا جديدا ، كان صاحبه مختفيا فى ركن الحجرة يقول : ان غيره كانت ارادتها حديدية ولكنها تلاشت اخيرا .. فالمسألة مسألة وقت ..

ـ ولكننا لم يعد لدينا وقت نضيعه .. ثم ان هذا الرجل أرلو ، الذى لم اسمع عنه الا الليلة عند قدومى هنا ، قد يكون يعرف الكثير .. لقد كان من الجنون ان لا تخبرونى عنه من قبل .. ومن العجيب انى دعوته بنفسى للحضور الى هنا ..

ـ وماذا لو فعل ؟.. ان ذلك كان يخفف عنا بعض مضايقاته .. ولكن اعصابك شديدة التوتر الليلة يادكتور ..

ـ لعنة الله عليها ، فما عدت احتمل اكثر من ذلك .. ولم يخطر لى قط ان الامر سيطول الى هذا الحد .. ومن المحتمل بعد ما حدث ليلة الامس ، ان نفاجأ باحداث أخرى .

ـ هدىء من روعك يادكتور .. وانى اعترف انه كان من سوء الحظ ان صديقنا أمبل سمح لذلك الشرطى المتطفل بأن يهزأ منه ، كما كان من سوء الطالع كذلك انه حسب ارلو عاملا ريفيا غبيا .. ولكنى واثق ان ارلو هذا لا يعرف شيئا عن حقيقة الامور والا مكث فى كمبردج ..

ـ لو اننا علمنا مدى معرفته بالحقيقة ؟..

ـ ربما وصلنا الى ذلك قريبا ..

وكان المتكلم قد دنا من نطاق رؤية لوبين ، فوجده الرجل الطويل الذى كان فى الكوخ .. وفى الوقت نفسه سمع خلفه صوتا يغمغم فى همس :

ـ يا الهى !.. انه جريجوروف !..

وكان ستاندش هو الذى قال ذلك ، ثم استطرد :

ـ انه اعظم المجرمين خطرا واشدهم بطشا .. وهو يعمل فى المخابرات السرية الروسية ، وكان ينبغى ان احدس من هو عندما حدثتنى عنه الليلة ..

وفى هذه الاثناء كان الروسى يقول :

ـ لقد اتخذت هذا المساء بعض الخطوات التى تحول دون معرفة ارلو المزيد من المعلومات .. واظنها كافية .. أما الآن فهيا بنا ننصرف من هذا المنزل ..

ولم تمض لحظات حتى أطفىء الضوء فى الحجرة ، وعندئذ ساد القصر ظلام دامس .. وعاد لوبين وستاندش الى زميليهما حيث سأل ستاندش عن سبب انذاره لهم بالخطر فقال :

ـ كان كل شيء يبدو بريئا طبيعيا ، حتى رأيت مريدبر... فتبينت انى سبق أن رأيته من قبل .. وذلك عندما حـ... عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة التزوير ، وكان اسمه وقـ... فيرجوسن .. فوجدت من الحكمة أن انذركم .. ولكنى ا... ار فى الاجتماع اميل فايت ، ولا جريجوروف .. وهاندا الا... قد رأيت الاخير فلم يعد لدى شك فى اننا وراء مغامرة خطير... وكما قلت لك فى الفندق ، فاننا امام حالة تشبه حالة مار... مارتينى الايطالى .. ولكن من ذلك الذى قبضوا عليه . و... هو السر الذى يسعون لمعرفته ، فهذا ما لا استطيع ا... احدسه ...

وفى هذه اللحظة انبعثت فى وسط السكون صيحة عالـ... مدوية ، هى صيحة امراة تستغيث .. وكانت صادرة مـ... داخل القصر .. فأسرع الرجال الاربعة نحوه وراحوا يبحثو... عن نافذة مفتوحة يتسللون منها ، فكان من حسن حظهم ا... وجدوا الباب الخلفى للقصر غير محكم الغلق ، فولجوه ، وبعد لحظة كانوا داخل المنزل ..

وكان السكون عميقا والظلام شاملا ، فأشعل لوبين مصباحه الكهربائى حتى وجد الدرج ، ومن ثم راح يرتقيه وخلفه زملاؤه فى خفة وحذر ..

ورأوا بصيصا من الضوء ينبعث من حجرة كان بابها مواربا ، فادركوا انها حجرة داخلية ولكنهم قبل أن يصلوا الى قمة الدرج سمعوا نشيج المراة وعويلها ، على حين أجابها صوت اجش غليظ :

ـ ان عقاب الخونة الموت ...

وعندئذ اسرع لوبين نحو باب الحجرة فدفعه مرة واحدة ، ولدهشتهم وجدوا انها حجرة للعمليات الجراحية كالتى توجد فى المستشفيات .. وكانت جدرانها ناصعة البياض والضوء فيها ساطعا يبهر الانظار .. وكانت أدوات

الجراحة تتالق امام أنظارهم ، كما كانت منضدة العمليات فى وسط الحجرة وحولها كثير من الادوات اللامعة ..

وبدت اهم الحجرة خالية ، ولكنهم مالبثوا أن رأوا امراة ملقاة فى ركن الحجرة الداخلى والدموع تهطل من عينيها .. ولكنها كانت قد كفت عن النشيج وراحت تحدق النظر اليهم فى دهشة وحيرة .. وكانت سمرة بشرتها تنم على انها اجنبية عن البلاد .. وما لبثت ان وضعت اصبعها على فمها محذرة ، الا كانت غمغمة اصوات تنبعث من الممر امام الحجرة ، ثم غمغمت :

ـ انقذونى .. انقذونى بالله عليكم ...!!

فأجابها لوبين : سوف ننقذك ، فانهضى ..

ـ ولكنى موثقة !..

فأسرع لوبين يفرع الحجرة اليها ، ويحملها بين ذراعيه ، اذ كان من المحتمل أن يحضر افراد العصابة بين آن وآخر بينما كان لوبين يود الخروج بالمراة فى أسرع وقت حتى يعرف ما لديها من معلومات عن جريجوروف واميل فايت واتباعهما ...

وعندئذ حدث أمر مفاجيء اذ اغلق باب الحجرة بغتة بصوت مسموع ، فوضع لوبين المراة على منضدة العمليات وراح يفحص الباب فوجده من الصلب وقفله اشبه باقفال الخزائن ..

ولم تكن بالحجرة نوافذ البتة ، كما ان تحطيم هذا الباب يحتاج الى طن من الديناميت والى ساعتين على الاقل حتى يستطيع لوبين فتحه بمهارته المعهودة .. وعندئذ كانت المراة تغمغم فى لكنة اجنبية :

ـ ويلاه .. انها الحجرة التى يشرح الطبيب فيها اجساد الناس .. والصوت لا ينفذ من جدرانها قط ..

فقال لوبين : ما شانك بهم يا عزيزتى ؟.. ولماذا سجنوك !

ـ لاننى عرفت أشياء ما كان ينبغى ان اعرفها .. وقلت
اننى سأبلغ البوليس ...
وما هى هذه الاشياء ؟..
ـ انهم قد قبضوا على الرجال وسجنوهم فى مكان بعيد
.. وها نحن ايضا قد غدونا سجناء بدورنا ..
ـ الا تعرفين من هؤلاء الاسرى ايتها الآنسة ؟..
ـ كلا يا سيدى .. كلا .. ولكن أحدهم عجوز ، بينما الآخر فى مثل سنك .. وقد حبسوهم فى منزل كبير جدا .. ولكن .. رباه !.. اننى اشعر بشئ غريب !.. والواقع ان لوبين كان يحس بذلك الشيء الغريب نفسه ، ولذلك جلس فجأة اذ شعر بقواه تخور ، وبانه لا يستطيع ان يحرك ذراعيه أو قدميه .. كذلك كانت حال زملائه الثلاثة ، وقد سقطوا على الارض واحدا بعد الآخر ..

وحاول أن يخرج مسدسه ، ولكن ذراعه لم تطاوعه وكأنها قيدت الى جانبه بقيد من حديد .. كذلك كانت قدماه كأنما سمرتا فى الارض .. وكان يشم رائحة ضعيفة لذيذة ، ادرك انها رائحة غاز يشل الحراك ، ولكنه لا يمنع فريسته من الرؤية والسمع ..

ورأى رجلا ينحنى فوق ستاندش ويوثق يديه وقدميه .. وعندئذ ادرك انه ايضا قد عومل بالمثل وأنه قد ربط فى مقعده .. وما لبث الرجل ان اختفى وعاد السكون يشمل الحجرة من جديد ..

وكان لوبين يشعر بتبلد فى ذهنه ، فظل ينظر الى ستاندش نظرة جامدة لا معنى لها ، كثمل لا يعى .. ومالبث ان شعر بوخز فى ذراعيه وساقيه ، فعلم ان المخدر قد بدأ يزول أثره .. واخيرا استطاع ان يفيق منه تماما وان يحرك راسه فرأى داربل قد افاق بدوره وكذلك ستاندش ..ولكن جريجسون كان لا يزال واقعا تحت تاثيره .. اما الفتاة فلم

يكن لها اثر فى الحجرة ..

وكان واضحا ان الغاز قد نفث فى الحجرة من طاقة تكييف الهواء .. اما اين كانت الفتحة ، فذلك ما لم يعرفه لوبين .. ولم يتسع له الوقت للتفكير ، اذ كان الباب قد فتح ، ودخل منه جريجوروف والاسبانى واميل فايت ومعهم رجلان من اتباعهم .. فقال الروسى وهو يشير الى داربل :

ـ لقد كان هذا الرجل مع ارلو فى الكوخ عصر اليوم . ولكن من هذان الآخران ؟..

فقال فايت لستاندش :

ـ اظننى رايت وجهك من قبل .. من انت ؟

ـ لا شأن لك بهذا ..

ـ واستطرد الروسى يقول للوبين :

ـ اليس من العجيب يامستر ارلو ان ابسط الخدع وايسرها هى اوفرها نجاحا ؟ ودعنى اقول لك انك جلبت المتاعب على نفسك وعلى اصحابك معا .. وكان ينبغى ان تدرك من أول الامر انك تضايقنى بتدخلك فى شئونى ، وانى لن اسكت على فضولك هذا ، ولن اهدأ حتى اضع له حدا .. ولكنك من جهة اخرى اتحت لنا فرصة اختبار شيء معين كنا نهتم به كل الاهتمام ، ولذلك عولت على أن ابقى على حياتكم جميعا بشرط معين .. هو ان تقول لى النص الحقيقى للرسالة التى تلقيتها من الكوخ امس .. واعلم ان حياتك معلقة على تحقيق هذا الشرط ..

ـ هب اننى تلقيت هذه الرسالة ، واننى اخبرتك بفحواها ، فهل تطلق سراحنا الآن ؟..

فابتسم جريجوروف فى خبث وقال :

ـ انك ياعزيزى المستر ارلو تحكم على عقلية سائر الناس بما توحيه اليك عقليتك انت .. ولا تنس انك اشتهرت

باختراع الرسائل ، ولذلك فلن تطلق سراحك على الفور ، وانما سنبقى هنا حتى نفرغ من العمل الذى جئنا من أجله الى هذه البلاد .. ولكنك اذا اعطيتنى الرسالة الحقيقية فانى اعدك بالا يطول احتجازك هنا أكثر من بضعة أيام .. ولاريب ان رجالا فى مثل قوتكم لن يقتلهم جوع ثلاثة أيام او اربعة .. اما اذا رفضت الادلاء الى بالرسالة ، فانى اخشى أن تظلوا فى هذا المحبس مدة غير محدودة ، ربما كانت شهورا او اعواما .. لاننا عندما نرحل الليلة سوف نغلق القصر ونشيع فى الانحاء المجاورة ان مستر مريديت قد رحل الى الخارج ..

ـ وماذا يكون موقف مريديت عندما تكتشف جثتنا ؟

ـ انه لا يعرفكم .. ولا ريب أنكم سطوتم على القصر واغلق عليكم باب الغرفة بخطأ غير مقصود .. خطأ رهيب ادى الى كارثة ..

ـ وهل اوثقت ايدينا وارجلنا بخطأ غير مقصود ايضا ؟

ـ سوف نحل وثاق احدكم يا مستر ارلو ، وعليه ان يفعل بكم المثل بعد رحيلنا .. وسيكون فى وسعكم أن تجولوا فى الحجرة كيف شئتم ، وان تصيحوا ملء افواهكم وأن تقرعوا رؤوسكم بالجدران ..

وكان لوبين قد اخلد الى التفكير . وما لبث ان قال :

ـ هب اننى اخبرتك بفحوى الرسالة ، فما هو الضمان على انك ستحافظ على وعدك ؟..

ـ لا شىء .. ولا تنس انك لست فى مركز يسمح لك باملاء هذه الشروط ..

ـ حسنا . سوف اجازف بحياتى .. وارجو ان يكون فحوى الرسالة ذا معنى بالنسبة اليك ، فقد عجزت وزملائى عن فهمها .. لقد كانت هكذا : « روزمارى ب ج س دور » ..

فقال الالمانى : اين كانت الرسالة عندما فتشتك ؟..

ـ حيث وجدتها فيما بعد .. بين زجاج النافذة

المحطمة ..

ـ واين هى الآن ؟..

ـ فى راسى ، فقد احرقتها ..

وراح جريجوروف والالمانى يتبادلون الحديث همسا برهة ، بينما كان ستاندش ينظر الى الاسبانى مليا .. واخيرا عاد جريجوروف يسأل لوبين :

ـ الا تعرف معنى هذه الرسالة ؟.. أو شخصية كاتبها !

ـ كلا .. فانها مكتوبة بشفرة سرية فيما يبدو لى ..

ـ ولماذا اختلقت تلك الرسالة الاخرى التى ابرقت بها عجوزك الشمطاء ؟..

ـ لقد اردت ان اسخر من اصحابك ..

ـ وهل يعلم احد بفحوى الرسالة الحقيقية ؟..

ـ كلا .. فيما عدا رجال البوليس فى بلمورتون .. فقد اخبرتهم بها عندما ابلغتهم بمقتل الرجل الذى اغتيل فى الكوخ ..

ـ سؤال آخر ياعزيزى ارلو .. ما الذى تعرفه عن تلك الفتاة دوريس فينابلز ؟

ـ لا شىء بالمرة .. سوى انها بارعة فى تأليف القصص المسرحية ..

وعندئذ قال الالمانى انه قد تذكر ستاندش ، فقد كان يعمل بادارة المخابرات منذ عام ، فقال الروسى وقد ازداد قطوبه :

ـ ذلك يجعل للامر وجها آخر .. لقد كنت أعتقد أن امامنا عصبة من الهواة الحمقى ..

فقال ستاندش : ولكنى تركت هذا العمل فى العام الماضى ..

ـ هراء .. ما الذى اتى بك الى هنا الليلة ؟..

ـ لقد كان الدكتور بلفاج هو الذى دعانى لحضور الاجتماع ..

ـ وبعد ذلك وقفت مع زملائك فى الحديقة تتجسس علينا ؟ ..

ـ لقد سمعنا صرخة الفتاة ..

ـ كان ذلك بعد عشرين دقيقة من فض الاجتماع ايها الكاذب اللعين ! وقد كانت هذه الفتاة هى الشرك الذى نصبته لكم ، إذ كنت واثقا من وجودكم فى الحديقة ..

وكان لوبين يضحك فى سخرية ، فجن جنون الروسى وصاح بالاسبانى :

ـ جردهم من اسلحتهم يا كورتيز ..

ثم تحول الى لوبين صائحا :

ـ أيها الانجليزى الاحمق .. هل تظن فى نفسك القدرة على اعتراض سبيلى ؟ ..

حسنا .. سوف تلقى جزاء حماقتك هذه .. وسوف تموت وزملاءك ميتة بطيئة شنيعة .. سحقا لك الا تكف عن هذا الابتسام ؟ ..

ورفع يده فى غضب ثم اهوى بها على وجه لوبين فى صفعة مدوية .. ثم اشار الى الاسبانى ثانية ليحل وثاق جريجسون

وكانت عينا لوبين تقدحان شررا وهو يقول :

ـ لقد حدث لى ذلك مرة واحدة قبل ذلك .. اما الرجل الذى فعل بى ذلك فقد قتلته ..

ولم يجبه الروسى .. وبعد لحظة كان الباب يوصد فى عنف خلف رجال العصابة ..

وعندئذ قال لوبين فجاة :

ـ ان هذا الرجل ليس أسبانيا ، بل هو مكسيكى ..

فنظر اليه الثلاثة الآخرون فى حيرة ، على حين قال داريل:

ـ ما معنى ذلك بحق الشيطان .. ؟

ـ لقد استطعت ان افك رموز الرسالة السرية ..

فصاح الجميع دهشة ، بينما استطرد لوبين :

ـ أجل .. لقد عرفت السر .. ولكنى عرفته بعد ان حبسنا هنا كالجرذان ..

ـ ٧ ـ

انحنى رئيس الخدم فى فندق ريتز كارلتون امام الزائر العظيم الذى كان يتناول العشاء فى حجرة خاصة ، وهو يقول:

ـ لعل كل شىء على ما يريده مولاى ..

ـ شكرا يا هنرى .. ان كل شىء على ما يرام كالعادة ، فدع صديقى يحضر الى هنا بمجرد وصوله ..

فانحنى الخادم ثانية فى احترام بالغ ، امام الرجل الذى كانت ثروته معروفة بأنها تحكى ما يروى فى الاساطير الخرافية ..

وظل الرجل وحده فى الحجرة وعيناه تستقران بين آن وآخر على الساعة الموضوعة على المدفأة امامه .. كانتا عينين شديدتى العمق ، ذواتى لون ازرق باهت ، ولكن فيهما من القوة بحيث لا يقوى احد على مواجهتهما طويلا .. عينان تجعلان « ايفور كالنسكى » واحدا من اقوى الشخصيات فى اوروبا كلها ..

وانتهى من عشائه ، فأشعل لفافة راح يدخنها فى تمهل وقد غاص فى لجة من التفكير .. فقد كان ايفور كالنسكى يواجه احدى المعضلات الكبرى التى واجهها فى حياته .. كان يريد ان يقطع برأى اخير فى هذه المعضلة ، وهى هل يجب ان تقوم حرب أوروبية ثانية ، ام لا .. ؟ وكان يرى ان عليه هو أن يتخذ هذا القرار ..

وقرع الباب ، فتحول كالنسكى نحوه يأمر رئيس الخدم بالدخول ، فاذا خلفه رجل ضئيل الجسم يحمل حقيبة صغيرة منتفخة بالاوراق ، قدمه الخادم قائلا :

ـ السير جيمس بورتريش يا سيدى ..

وظل كالنسكى فى خلوة مع ضيفه اكثر من ساعة ، انصرف الضيف على اثرها وهو يقول فى ضيق وقلق :

ـ سوف اعرض الامر على رئيس الوزراء يا مستر كالنسكى ، وعسى ان استطيع رؤيتك مرة اخرى قبل ان تبارح انجلترا ..

وعاد كالنسكى الى خلوته وهو يفكر فى حديثه مع سير جيمس ، وزير الدفاع فى انجلترا .. لقد اوحى اليه ان حربا جديدة على وشك الوقوع ، وان على بريطانيا العظمى ان تتأهب لها ، وان تولى شئون الطيران كل اهتمامها ، وعرض ان يقدم للانجليز قرضا قدره ثلاثون مليونا من الجنيهات لتشييد مصانع جديدة للطائرات ..

ولم يمكث وحده طويلا ، فقد قدم زائر آخر لمقابلته .. ولم يكن سوى الالمانى اميل فايت .. فحدجه كالنسكى بنظرة طويلة بينما كان الالمانى يملأ قدحه بالشراب ويشعل لفافة .. وما لبث ان قال :

ـ لقد فهمت من خطابك يا هرفايت ان لديك شيئا بالغ الاهمية تريد ان تفضى به الى .. فما هو .. ؟

ـ هل لى ان افهم يا سيدى ان الحالة فى اوروبا قد بلغت حدا كبيرا من التوتر ؟ .. وان اية معلومات سرية عن الشئون العسكرية لها قيمتها الآن ؟ ..

ـ هذا ما سوف اقطع فيه برايى الآن عندما اسمع ما لديك ..

ـ الواقع يا سيدى اننى سوف يكون لدى بعد يومين اهم الاسرار العسكرية فى انجلترا ، واشدها خفاء .. فهل فى وسعى ان اعتمد على مكافأتك لى بسخاء اذا جئتك بهذا السر ؟ .. كما حدث فى حالة ماريو مارتينى ؟ ..

ـ اننى اذكر هذه المسألة جيدا .. وقد نلت فيها منى

مبلغا عظيما ..

ـ حسنا .. ان الاسرار التى سوف آتيك بها لا تقل اهمية عن سر الغواصة الايطالية ..

ـ اذا كان الامر كذلك يا هرفايت فانى استطيع ان اضمن لك خمسة وعشرين الفا من الجنيهات ..

فهز فايت رأسه فى اسف وقال :

ـ انها لا تكفى يا سيدى .. فان لى شريكا يعمل معى من مبدأ الامر ، وقد مر بنا من الاخطار حتى الآن ما ترتعد منه الفرائص ، ولا زلنا مهددين بأخطار اخرى جسيمة .. فهلا جعلتها خمسة وعشرين الفا لكل منا ؟ ..

ففكر كالنسكى قليلا ثم قال :

ـ حسنا يا هرفايت .. سوف اعطيك خمسين الفا ، على ان يكون لى تقدير الاهمية الحقيقية لما تأتينى به ..

ـ اذن اصغ الى يا سيدى .. انك ولا ريب تعرف جمعية المفتاح الفضى ، ومدى نشاطها الآن .. فاسمع تفاصيل ما فعلته حتى الآن ..

لقد بدأت القصة فى وارسو منذ شهرين ، مع رجل يدعى بول جريجوروف ، فقد كان يجلس فى ردهة فندق هناك ذات يوم عندما شعر بوجود رجلين على المائدة المجاورة له يتحدثان بالانجليزية ، وكان احدهما انجليزيا والآخر بولنديا .. وقد لاحظ ان كلا منهما يضع مفتاحا فضيا فى ياقة معطفه ، فلم يبال بهما خصوصا وان مظهرهما كان يدل على الغباء الخليق به اعضاء هذه الجمعية المضحكة .. ولكن كلمة واحدة سمعها منهما جعلته يوليهما كل اهتمامه ، وكانت هذه الكلمة هى : « الفاز ... » .

ولم يستطع سماع بقية حديثهما ، ولكنه اراد ان يعرف الحقيقة فأوعز الى البوليس ان يقبض على الانجليزى لامر

يختص بالتحرى عن جواز سفره ، وما لبث ان زاره فى السجن بعد ان وضع فى معطفه المفتاح المعهود ..

وابتهج الرجل اذ وجد زميلا له فى الجمعية يعنى بامره .. فلما استطاع هذا الزميل ان يتدخل لدى البوليس بنفوذه فيطلق سراح الانجليزى ، كان فى شكره وعرفانه بالجميل لا يعرف حدودا .. والواقع انه لم يمض نصف الساعة حتى عرف جريجوروف القصة بحذافيرها ..

كان هذا الشاب الانجليزى كيميائيا .. وكان يعمل مساعدا لرجل فى انجلترا يعمل منذ شهور فى اختراع نوع جديد من الغاز .. ولكنه ليس كهذه الانواع التى تظهر ثم تختفى ، وانما هو غاز لا لون له ولا رائحة ، اخف من الهواء قليلا ، لا يعقب ضررا بعد انتهاء اثره ، وهو اثر عجيب حقا اذ يصيب الاعضاء كلها بشلل كامل بحيث لا يستطيع المرء ان يتكلم او يتحرك ، وان كان يشعر بكل ما يدور حوله .. وتتوقف مدة هذا الشلل على كمية الغاز المستعملة ، وهى عادة بين عشر دقائق ونصف ساعة .. ولكن اهم ما فى الامر ان الانسان لا يعرف بانتشار الغاز فى الهواء الا بعد ان يحدث اثره ، وعندئذ يكون من العبث ان يقاومه ..

فلما ادرك جريجوروف اهمية المعلومات التى باح له الرجل بها ، ظل يتودد اليه حتى عرف ان ذلك المخترع رجل يدعى والدرون ، وهو كيميائى وفى الوقت نفسه ضابط بسلاح المهندسين البريطانى .. وكان ان ادرك ايضا ان هذا الاختراع من الشئون العسكرية البالغة السرية ، وان هيئة اركان الحرب تهتم به كثيرا وتنتظر انتهاء المخترع من تجاربه اذ اعلن انه سوف يضع اختراعه تحت تصرف الحكومة ، وهو امر لم يرق لمساعده اذ كان عضوا متحمسا بجمعية المفتاح الفضى ..

ولم يكن جريجوروف يهتم بهذا الامر لقيمته الحربية ، وانما كان يفكر فى فائدة هذا الغاز فى شل حراك رجل معين فى

حجرة فندق مثلا .. فقد كان جريجوروف قاتلا محترفا ، ولصا عريقا فى الاجرام ..

وعرف جريجوروف المزيد من المعلومات ، وعرف بالمثل ان هذا الغاز بسيط التكاليف ، يمكن ضغطه فى اسطوانات من الصلب ، من اى حجم .. ولكن ذلك الشاب المنكود لم يكن يعرف طريقة تركيبه ، اذ ظل المخترع محتفظا لنفسه ، ولنفسه فقط ، بنقطة او اثنتين من مراحل التركيب .. فاعتزم جريجوروف ان يتولى الامر بنفسه .

وكان الشاب ، طبقا للمبادىء الحماسية لجمعيته المضحكة ينوى ان ينتظر حتى يعرف ما خفى عليه من طريقة تركيب الغاز ثم ينشرها فى العالم .. ولكن الشاب المسكين لم يكد يفضى بما لديه لجريجوروف حتى اصيب بحادث مفاجىء .. اعنى لم يكن فى حسبانه ، اذ سقط امام احد القطارات السريعة ، وبذلك اختفى من المسرح ..

فابتسم كالنسكى ، وقال : لحساب من يعمل جريجوروف هذا ؟ ..

ــ لنفسه خاصة يا سيدى ..

ــ اهو الرجل الذى قلت انه شريكك فى هذه الصفقة ؟ ..

ــ انه هو نفسه .. وكان هذا هو الموقف عندما اتصل بى جريجوروف .. وكان باعثه فى ذلك شيئان ، اولهما ان العمل لم يكن مما يقوم به رجل فرد ، والثانى اننى سبق لى العمل فى انجلترا .. وسرعان ما اتفقنا على خطة للعمل .. وقد كان الامر سهلا من حيث ان هذا المخترع يعيش بمفرده مع خادم شمطاء ، كما انه فى اجازة طويلة ، بحيث لن يفتقده احد اذا اختطفناه .. ولكن الامر ازداد صعوبة منذ علمنا انه واسع الثراء ، اى اننا لن نستطيع ان نشتريه بالمال .. فلم يكن امامنا الا ان نختطفه ونبقيه طويلا بين ايدينا حتى يمكن ان تؤثر فيه وسائل التعذيب المختلفة فيبوح لنا بسر

اختراعه .. وعندئذ كان يتعين علينا ان نجد مكانا ملائما كمنزل فى الريف او ما يشبه ذلك .. وما لبثت ان اتصلت بشخص يدعى الدكتور بلفاج ، يملك قصرا فى كمبردج به حجرة داخلية للعمليات لا ينفذ منها الصوت ، تلائم غرضنا كل الملاءمة ، فضلا عن ان هذا الطبيب ، وقد عرفته من قبل ، من اشد اعضاء جمعية المفتاح الفضى حماسة لاغراض الجمعية ..

فلما اتفقنا على ذلك مضينا الى انجلترا من طريقين مختلفين ، فبقى جريجوروف فى لندن ، بينما ذهبت الى كمبردج .. وعندئذ فوجئنا باول عقبة اذ ان الطبيب كان قد اجر قصره الى رجل يدعى مريديت .. وكم كان اشد عجبى عندما تبينت ان مريديت هذا ، بالإشتراك مع الطبيب ، كانا يسعيان وراء والدرون المخترع نفسه ، بل انهما قد اختطفاه فعلا واتخذاه منذ اكثر من عشرة ايام اسيرا لدى جمعية المفتاح الفضى .. وقد راحا يحاولان ارغامه على الافضاء اليهما بسر صنع الغاز .. وقد اخبرنى الطبيب بعد تردد يسير ان غرضه من ذلك نشر طريقة صنعه بين الدول الاخرى طبقا لمبادىء الجمعية .. ولكنى كنت اعرف الرجل جيدا فصحت به :

ـ هل انت كاذب ام احمق ؟ .. اتظننى اصدق انك تعتنق مثل هذه المبادىء السامية لوجه الله ؟ ..

فلما ادرك اننى لست ممن يخدعون بسهولة ؛ لم يلبث ان اعترف لى بالحقيقة .. تلك هى ان والدرون قد اودع منزلا منعزلا يملكه عضو آخر من اعضاء الجمعية ، وهو عجوز متحمس يدعى هوسكنز .. وكان المفروض ان يطلق سراح والدرون بعد ان يفضى اليهم بالسر ، ولكن الحقيقة هى ان فايت ومريديت كانا يزمعان قتله والاستيلاء على السر لنفسهما وبيعه لاحدى الدول العظمى الاجنبية .. وعندئذ قلت للطبيب

ان العملية اضخم من ان يقوم بها بمفرده مع مريديت ـ وقد اتضح انه رجل بارع فى التزوير وكانت مهمته ان يكتب خطابات على لسان والدرون ـ وانه يجب ان يشركنى معه فيها .. ثم عدت اسأله عما ينويان عمله بهوسكنز ، وهل ينويان قتله حتى لا يطالبهما باذاعة سر الغاز ؟ .. وعندئذ علمت يا سيدى شىء آخر لا يقل اهمية عن هذا السر ..

وقد قلت لك فى مبدأ الامر اننى سازودك بسرين عسكريين خطيرين .. احدهما هو هذا الغاز ، واما الثانى فهو يختص بطائرة جديدة اخترعها رجل اسكتلندى يقيم فى منطقة الجبال، ويدعى جراهام كالدويل .. وقد فهمت أن محرك الطائرة يبلغ من القوة عشرة امثال اية طائرة موجودة فى الوقت الحاضر .. وكان الرجل يقوم بهذا العمل لحسابه الخاص ، دون معاونة من الحكومة ، ولا يعمل معه سوى رجلين من العمال ورجل ميكانيكى موثوق به .. وكانت هذه المسألة هى التى يهتم بها الدكتور بلفاج كل الاهتمام ..

وقد كان علم بهذا السر من احد العاملين ، وهو عضو بسيط فى جمعية المفتاح الفضى ، كما علم بأن بعض التفصيلات الاخيرة لم تتم بعد ، وعندما تتم تكون رسوم الطائرة قد اعدت نهائيا .. وكان الدكتور بلفاج ينتظر هذه الخطوة ..

ولم يكن هوسكنز يعرف هذا السر ، فكانت خطة الطبيب وشريكه مريديت بسيطة .. وقد فاتنى ان اخبرك يا سيدى بانه عند اختطاف والدرون وجدت لديه اسطوانة صغيرة من الغاز الذى اخترعه ، فكانت خطة الطبيب هى ان يعطى الاسطوانة للعامل الاسكتلندى فيضعها فى حجرة كالدويل والميكانيكى ، حتى اذا اصبحا لا يستطيعان الحراك سرق الطبيب رسوم الطائرة ومضى بها .. ولم يكن هوسكنز يعرف بوجود هذه الاسطوانة ، وانما اخفاها الطبيب عندما عثر عليها ساعة اختطاف والدرون ، لعلمه بانها ستفيده فى سرقة سر

الطائرة .. فكان الطبيب ومريديت كانا يهتمان قبل كل شيء بهذا السر ، ويرجوان بعد ذلك ان يستطيعا الحصول على سر الغاز ، ولكن ذلك كان فى المحل الثانى بالنسبة اليهما ..

ولذلك ترى يا سيدى ان دورى ودور جريجوروف كان ينحصر فى الانتظار ، وما على الدكتور بلفاج الا ان يقدمنا الى ذلك المغفل هوسكنز على اننا عضوين فى جمعية المفتاح الفضى حضرنا من المانيا وروسيا للحصول على سر الغاز وابلاغه لحكومتينا ..

وقد فاتنى ان اخبرك بأن والدرون لم يودع منزل الطبيب فى كمبردج ، وانما سجن فى اقبية القصر يملكه هوسكنز ويدعى (جسر الجواد) .. وهو قصر عتيق تحيط به قناة عريضة من الماء العميق ولا يمكن الوصول اليه الا بواسطة قنطرة معلقة .

وراعنى من هوسكنز هذا ان حماسته لمبادىء المفتاح الفضى قد جعلته يلجأ الى اساليب غاية فى القسوة والوحشية مع والدرون .. ومع ذلك فانك اذا رايته رايت رجلا وقورا يكلل هامته تاج من الشعر الناصع البياض ، ويضع على انفه المقوس عوينات ذهبية .. وقد رحب بنا عندما قدمنا الطبيب اليه وقال :

ــ يمكنكما ان تقيما فى المنزل كيف شئتما .. فان هذا اللعين والدرون شديد العناد ، يرفض الكلام حتى لقد فكرت فى انه ينبغى ان يقتل .. فمن الخير ان يموت فرد من ان تهلك الالوف باختراعه الشيطانى .. وقد حاولت ان اقنعه بجادة الصواب ، وشرحت له مبادئنا السامية ولكنه لم يزد على ان اتهمنى باننى خائن لوطنى .. ولكننى لست فى شك من النتيجة الاخيرة ، فان احدا لا يستطيع ان يقاوم ذلك العقار المكسيكى طويلا .

ودخل الحجرة وقتئذ رجل طويل القامة اسمر البشرة ،

فقال هوسكنز :

حدثهم يا كورتيز عن ذلك العقار ، فهم من اعضاء الجمعية مثلنا ..

فغمغم الاسبانى قائلا : هذا العقار مادة تسمى مارى جوانا ..

فما كاد جريجوروف يسمع هذا الاسم حتى صفر بشفتيه .. فقد كان هذا العقار معروفا لتجار المخدرات باسم مارى جان ، وكانت خاصيته انه يجرد الرجل من اى شعور ويحيله كومة مهدومة من الاعصاب المنهارة .. فاذا ادمنه شخص فانه لا يلبث ان ينتهى به الى الانتحار او الجنون ..

وكان هذا العقار هو الذى يحقن به هوسكنز الطبيب اسيره يوميا ..

وكانت خطتى وجريجوروف يا سيدى هى ان نأخذ اسطوانة الغاز والطبيب معنا الى اسكتلندا ، فاذا تم لنا تخدير جراهام كالدويل وزميله سرقنا رسوم الطائرة واشعلنا النار فى الكوخ ، ثم فى الحظيرة التى كان بها نموذج الطائرة الجديدة وبذلك لا يعرف سرها احد بعد ذلك .. اما بلفاج .. حسبنا .. ان الطرق فى اسكتلندا شديدة الوعورة ، تكثر فيها الحوادث ! .. وكان علينا ان نعود بعد ذلك الى قصر (جسر الجواد) فنحصل على سر الغاز ونتخلص من هوسكنز والاسبانى كورتيز والمخترع والدرون نفسه .

وتمهل اميل فايت ريثما جرع كأسا جديدة من الشراب واشعل لفافة ، ثم أردف :

— كان هذا يامستر كالنسكى ما كنا قد عقدنا العزم عليه لولا ان تطور الموقف تطورا خطيرا .. اذ حدث منذ اربعة ايام ان كان جريجوروف واقفا فى احدى النوافذ عندما راى رجلا يحوم حول القصر ، عرف فيه للتو احد ضباط المخابرات السرية ، وكان قد رآه فى وارسو عندما اتصل بذلك الشاب الانجليزى الذى عرف منه سر الغاز .. ولا ريب فى ان هذا الضابط ، ويدعى جنجر لوفليس ، كان على بينة من الامر وتبع جريجوروف الى انجلترا .

فاضطر شريكى الى العمل سريعا ، فتسلل خلف الرجل وضربه بهراوة على راسه القته فاقد الرشد ، ومن ثم حملناه الى حجرتى .. ولم يكن فى وسعنا ان نسجنه فى القصر حتى لا يعلم هوسكنز بالامر ، ولذلك عولنا على نقله الى قصر الدكتور بلفاج فى كمبردج ، ويسمى هارتلى كورت ، لنسجنه فى حجرة العمليات الداخلية .. فحقنته بمادة مخدرة ، واخذته فى سيارتى مع رجل اخر من اتباعى اثناء الليل وكان الضباب كثيفا حتى اضطررنا الى السير فى بطء .. ولكن لوفليس افاق من اثر المخدر اثناء الطريق فتسلل من السيارة ولكنى شعرت به ، واطلقت عليه رصاصة اصابته ، ولكننا لم نجده ثانية الا بعد ان كان قد القى برسالة سرية فى احد الاكواخ هناك .. وقد فتشنا الكوخ فلم نجدها ولكن الشخص الذى عثر عليها ، وهو رجل صعب المراس صلب العود يدعى المستر ارلو ، بدا يضايقنا هو وثلة من اصدقائه حتى استطعنا ان نوقع بهم فى الشرك ، ولكن بعد ان كلفنا ذلك غاليا ، اذ اضطررنا الى استخدام غاز والدرون معهم ، وبذلك لم يعد لدينا شيء منه ، وقد اثبتت هذه التجربة ان الغاز قد اتى بجميع النتائج المرجوة منه ، وانه يستحق العناء الذى يبذل

فى سبيل الحصول على طريقة تركيبه .. وبذلك ايقنا بانه لم يبق امامنا مناص من استخدام وسيلة اخرى مع جراهام كالدويل وزميله غير طريقة التخدير التى كنا ننوى استخدام غاز والدرون فيها .. ومهما يكن من الامر فاننى سوف آتيك بهذين الاختراعين يامستر كالنسكى لقاء المبلغ الذى اتفقنا عليه .. ولكنى ارجو الآن ان تعطينى مبلغا لحساب هذه الصفقة حتى يمكن مواجهة النفقات العاجلة .

فاخلد كالنسكى الى الصمت لحظة وما لبث ان قال :

— سوف احدثك فى صراحة ياهرفايت ساعطيك عندما تقدم لى سر الاختراعين معا عشرة آلاف من الخمسين .. حتى اذا ما تحققت بعد فحصهما من فائدتهما اعطيتك خمسة عشر اخرى .. واما الخمسة والعشرون الفا الباقية فلن تنالها ياهرفايت الا بعد ان يتحقق لدى بأدلة حاسمة انى وحدى الذى املك هذا السر ، وانه لم يتسرب الى اية دولة اخرى وسوف اعطيك الآن خمسة آلاف للنفقات العاجلة ، دون ان اخصمها من المبلغ الذى اتفقنا عليه .. فما رايك ؟

— انك كريم يا سيدى .. وانى امتثل شروط هذه بحذافيرها .

— شكرا .. وانت تعرف عنوانى بباريس ، فما عليك الا ان توافينى بالرسوم والتفاصيل هناك .

وتناول فايت المبلغ ، ثم انحنى فى احترام بالغ ، وغادر الحجرة ..

ووقف امام مدخل الفندق الكبير يتامل قليلا فى الحركة الصاخبة التى تضطرم فى الميدان ويفكر فى الاتفاق الذى عقده مع كالنسكى ، عندما سمع فجاة صوتا يقول خلفه بالالمانية :

- هل كانت امسية موافقة ياهر فايت ؟

فاستدار دفعة واحدة كانما اصيب بلطمة على راسه ، ولكنه لم ير سوى احد عمال الفندق يرتدى حلة زاهيــــة ، ويقول فى صوت رقيق :

- هل احضر لك سيارة يا سيدى ؟

- كلا .. ولكن الم تسمع احدا يتحـــــدث الى الان بالالمانية ؟

فرفع الرجل حاجبيه دهشة ، وقال :

- الالمانية ياسيدى ؟ هذا امر عجيب حقا !

فزمجر فايت ثم تحول الى الدرج وما لبث ان مضى فى سبيله ، وقد احس بقلق خفى فعلى الرغم من ان الكلمات كانت المانية ، الا ان لهجة قائلها كانت انجليزية ..

* * *

- ٨ -

لم يكد فايت يلج ردهة فندقه ، حتى وجد جريجوروف جالسا فى انتظاره ، وقد بدت فى محياه عـــلامات القلق .. وما لبث الروسى ان ابتدره قائلا :

- هل قرات الصحف المسائية ؟
- كلا .. لم ارها بعد .
- اذن اقرا هذه ..

واشار الروسى الى فقرة راح يقرؤها فى امعان ، وقـــد ثارت دهشته .. وكان عنوانها « قصر ريفى تدمره النيران »

« قلة المياه تعرقل اعمال رجال المطافىء »

وجاء فى الفقرة بعد ذلك ان النار شبت فى قصر هارتلى كورت ، بكمبردج ، فدمرته تدميرا فى الساعات الاولى من الصباح وقد ذهبت جهود رجال المطافىء هباء نظرا لقلة المياه فى تلك المنطقة .. ولم يعرف بعد سبب الحريق ، ولكن يرجح انه بسبب تماس فى الاسلاك الكهربائية ، وساعد على شبوبها ان القصر كان خاليا من ساكنيه فلم ير احد النار الا بعد ان اندلعت وحمى أوارها .. واضافت الصحيفة انه اكتشفت بقايا عظام بشرية بين الحطام ولكن تبين ايضا أن مالك القصر الدكتور بلفاج كان يحتفظ ببعض الهياكل البشرية الكاملة لاغراض علمية تتصل بمهنته ..

فوضع فايت الصحيفة جانبا ، واشعل لفافة ، ثم قال :

ـ الى اى حد يؤثر هذا الحادث فى عملنا ؟ ..

ـ لا شيء حتى الان ، ما لم يكتشف البوليس حقيقة هذه العظام .. واشد ما اخافه ان يكـــون بجانبها ما ينم على شخصية اصحابها .. وعندئذ سوف يرى مريديت نفسه يواجه موقفا خطيرا ، فيعمد الى الاعتراف بالحقيقة لرجال البوليس ، ويوقع بنا لينجو بنفسه .

ـ انه لا يجرؤ على ذلك ما لم يوقع بنفسه بالمثل .. ولعل خير ما يقال فى هذا الشأن انه لا يعرف شيئا عن هؤلاء الناس الذين سطوا على القصر فى غيبته ..

ـ ربما تتطور الامـــور فيعجز مريديت وذلك الطبيب المأفون بلفاج عن المقاومة ويعترفان بكل شيء ..

ـ صدقت ويجب ان نرى راينا فى هذين الغبيين ، وكذلك الاسبانى كورتيز .. ولكن اصغ الى اولا ..

ومضى يقص عليه نبأ الاتفاق الذى عقده مع كالنسكى .. ثم اردف :

ـ وقد كنت احب ان نذهب وحدنا الى سكوتلندا لنحصل على رسوم الطائرة ، ولكنى اخشى اذا فعلنـــا ذلك ان يبلغ مريديت الامر الى رجال البوليس بخطاب غفل عن الامضـــاء فنضبط متلبسين بجريمتنا .. وكذلك فان اهل الجبال فى تلك المنطقة ينفرون من الاجانب ويميزونهم على بعد ميل ..

يقول مريديت ؟!

ولذا ارى ان نذ الى هناك .. ولا تنس ان علينـــا ان نتخلص من جراهام والدويل وزميله دون ان نثير الشكوك حولنا .. فاذا استطعنا ان نقتلهما بحيث يقع عبء الجريمة على مريديت والطبيب ، كان ذلك خير وسيلة لنجاتنا من مضايقتهما ..

انها فكرة عظيمة يا اميل ، ولكن هل يمكن تنفيذها ؟

ـ نعم ، بشرط ان نأتى بالرجلين الى جسر الجواد .

ـ وكيف يمكنك بحق الشـــيطان ان تحضرهمـــا من اسكتلندا الى هناك ؟ .. مع ان مريديت والطبيب يريدان ان يبقى هذا السر بعيدا عن هوسكنز ؟

ـ وماذا لو علم هوسكنز به ؟ .. سوف تكون الرســوم معنا وحدنا ، ويمكننا ان نزعم له اننا ننسخ منها صـــورا لتوزيعها على الدول ، وبذلك يبقى ساكتا .. اما مريديت والطبيب فيمكن ان نزعم لهما اننا ننتظر حتى يبوح والدرون بسر الغاز ثم نبيع الاختراعين معا صفقة واحدة .

ـ وكيف يمكننا الخلاص بعد ذلك ؟

بطريقة سهلة .. فسوف نحقن جراهام والميكانيكى والدرون بكمية كبيرة من المورفين تقضى عليهم .. ولما كان الطبيب دائما ثملا لا يعى فسوف يظن ، وباقى زملائه معه ، انه هو الذى قتلهم خطأ .. وفى غمار هذه الفوضى يمكننا ان نختفى من المكان ونترك الطبيب ومريديت وهوسكنز يتخبطون فى كيفية الخلاص من الجثث الثلاث .

— انها خطة محكمة .. ولكن ؤ واشعل لفافة" جراهام وزميله
من اسكتلندا ؟

— لقد فكرت فى هذه النقطة ايضا .. فوجدت لها حلا موفقا .. ذلك انه توجد صناديق كبيرة خاصة ذات عجلتين تربط بالسيارات وتوضع فيها أدوات الرحلات .. فاذا استخدمنا واحدا منها استطعنا ان نضع فيه الرجلين بعد تخديرهما ، وفى الوقت نفسه يكون هناك مبرر لظهورنا فى اسكتلندا كجماعة من هواة الرحلات يقومون برحلة للنزهة بين الجبال ..

— لعمرى انك شيطان يافايت ..

— ومتى تم لنا النجاح فى هذه الخطة كما ارجو ، فاننا نسرع بمغادرة البلاد بطائرة خاصة نستأجرها لهذا الفرض .. وهناك مطار بالقرب من قصر (جسر الجواد) يمكننا ان نستخدمه ، ولا نلبث ان نسلم البضاعة الى كالنسكى فى بترس .

ونهض فايت وهو يفرك كفيه فى ابتهاج ، واردف :

— وسوف تنجح هذه الخطة حتما مالم يجد شىء ليس فى الحسبان .. وهو امر اعده مستحيلا بعد ان قضينا على السيد ارلو واصدقائه ، وبعد ان أمسكنا بضابط المخابرات لوفليس بين ايدينا ، وكذلك تلك الفتاة دوريس فينابلز التى لازالت فى حيرة من حقيقة دورها فى هذه المغامرة .. فهل هى حقيقة لا تزيد عن عضو شديد الحماسة فى جمعية المفتاح

الفضى كما يقول مربديت ؟ ام هى تعمل لحساب ادارة المخابرات بدورها ؟

— مهما يكن من أمرها فما دامت تحت تأثير المخدر دواما فهى عاجزة عن عمل اى شىء .. وينبغى ان تظل كذلك حتى نجلو عن البلاد ..

واخلد فايت الى التفكير برهة ، وما لبث ان قال :

— ارى أن اعود معك الى مركز القيادة الان .. فان علينا ان ننام قليلا ، ثم نشرع فى العمل ..

ومضى فايت يحضر حقيبته ويضعها فى السيارة ، فلما درجت بهما فى شوارع لندن كان الليل قد انتصف .

وكان الطريق طويلا الى جسر الجواد .. بحيث وصلا الى القصر بعد ان اشرقت الشمس .. فتسللا الى الداخل وفى عزمهما ان يأويا الى حجرتهما .. ولكنهما وقفا فى البهو قليلا حيث صب جريجوروف لنفسه كأسا من الشراب ، بينما وقف فايت فى النافذة يتأمل المروج المجورة .. فهتف فجأة :

— جريجوروف .. تعال الى هنا ..

ثم اشار الى الضفة الاخرى للقناة حيث كانت بعض الحشائش المرتفعة تضطرب كان بينها جسما يتحرك .

واسرع الرجلان الى الخارج ، ولكنهما ما كادا يدنوان من الموضع الذى رأياه ، حتى كانت طريدتهما قد غادرته واختفت

عن الانظار .. فلما وجدا آثار (ساندوتش) وبقية تفاحة طازجة ، جن جنونهما وايقنا ان وراء الاكمة ما وراءها ..

وكانت الحشائش تعلو راسيهما .. ولكن جريجوروف استطاع ان يرى القصر خلال فرجة فيها .. فأمسك بذراع الالمانى فى قوة وغمغم :

ـ انظر الى تلك النافذة يا اميل ..

فقد كانت امراة تقف فى النافذة منحنية الى الامام تحدق الى ناحيتهما . ولم تكن تلك المراة سوى مس دوريس فينابلز ..

* * *

كان الطبيب قد غفل عن حقن الفتاة بالمخدر فى الموعد المناسب ، فأفاقت من تاثيره ووقفت فى النافذة تستنشق هواء الصباح .. او هكذا قالت لجريجوروف وفابت عندما اقتحما حجرتها بعد قليل وراحا يستجوبانها .. وهى لا تعرف شيئا عن حقيقة الرجل الذى كان مختفيا بين الحشائش ، بل لا تعرف بوجوده قط ، وبالمثل لا تعلم شيئا عن هذا المكان الذى سجنت فيه .. وهى لا تزال تصر على انها عضو بجمعية المفتاح الفضى وان حماستها لمبادىء الجمعية هى التى جعلتها تعمل مع مريديث واصدقائه ..

ولكن فابت لم يقتنع بهذا القول ، وامسك بالفتاة يجرها نحو الباب ، فصاحت به :

ـ الى اين تقودنى ايها الوحش ؟

ـ لقد كنت شديد ةالفضول الى معرفة مركز قيادتنا ، ولذلك سوف اريك بعض حجراته السفلى .. وستظلين سجينة فى الاقبية الرطبة حتى تبوحى لنا بحقيقتك ..

وعندئذ وقع بغتة امر مفاجىء ، اذ ظهر فى باب الحجرة شاب يترنح كالثمل وقد شحب وجهه شحوبا شديدا ، وحول راسه عصابة قذرة .. فلم تملك الفتاة نفسها عن ان تصيح:

ـ تومى .. عزيزى تومى .. ماذا فعلوا بك ايها الحبيب؟

فغمغم الشاب فى صوت خافت ضعيف :

ـ لقد سمعت صوتك يادوريس ، فجئت لاراك .

وبدا الاهتمام فى وجه الالمانى فقال :

ـ ارى انك تعرفين الكابتن لوفليس معرفة وثيقة يا عزيزتى ..

فصاحت به الفتاة فى تحد :

ـ انه خطيبى ايها الوغد ..

ـ آه .. اذن فقد زعمت انك عضو بالجمعية كى تحاولى انقاذه ؟

ـ نعم .. ولو كانت لديك ذرة من الشهامة لاخليت سبيلى .

– وهذا هو السبب فى ذهابك الى كوخ ذلك المغفل بعد الظهر لتحصلى على الرسالة الحقيقية ؟

وتحول الى الضابط فقال له :

– هل لك ان تخبرنى عن حقيقة معنى هذه الرسالة الغريبة ؟ .. اننى لم افقه حرفا لهذه الكلمات « روزمارى ب ج س د و ر » فماذا عنيت بها ؟

فنظر اليه لوفليس فى دهشة وغمغم :

– روز مارى ؟ .. اننى لا افهم شيئا ..

ولكنه صمت فجاة ، وما لبث ان اردف :

– اننى لا اذكر شيئا .. فالامر كله كالحلم ..

وضاق فايت ذرعا بالاثنين فحقن لوفليس بالمخدر فى ذراعه ، على حين دفع الفتاة فى عنف الى خارج الحجرة ، فاجتازت ردهات طويلة قبل ان تقف امام باب ضخم من الحديد فتحه فايت ، ودفعها امامه الى درج حجرى ضيق فراحت

تهبطه فى بطء وحذر .. وكانت قطرات الماء تتساقط فوق راسها من السقف على حين كانت رائحة الرطوبة العفنة تنبعث من الاسفل قوية حادة خانقة .

وكانت لا تكاد ترى ما امامها لحلكة الظلام ، ولكن عينيها اعتادتا ذلك بعد قليل ، فاذا بها ترى فى ركن من القبو فراشا من القش رقد عليه رجل يتململ فى الم وصلبل السلاسل

ينبعث من ناحيته كلما تحرك .. وكان يقف الى جانبه شيخ اشيب الراس يضع عوينات ذهبية على انفه المقوس .. ولم يكن سوى هوسكتز ، وكان يصيح بالاسير :

– الا تتكلم ايها الشرير .. افض الى بسر هذا الغاز الذى اخترعته حتى يعرفه العالم ..

فاجابه المسكين فى صوت خافت :

– لن اتكلم بشىء .. فدعنى وشانى ايها الرجل الخائن وطنه ..

– الوطن ؟ .. ما هو الوطن ايها الغبى ؟ ان الوطن هو العالم كله متى ساده السلام ..

وعند هذه العبارة وقع بغتة امر يكاد يشبه الخوارق .. فقد انبعثت ضحكة مدوية من مكان ما فى اعلا الدرج .. ضحكة مليئة بالسخرية والتهكم ..

فانتفض فايت وتلفت حواليه وهو يسال فى صوت متهدج :

– من الذى ضحك هكذا ؟ !

ولم يجبه احد على سؤاله . . وفى اللحظة نفسها كان مريديت يهبط الدرج فى عجل وانتحى بفايت وجرجوروف جانبا وراح يهمس لهما بكلام طويل ..

وكان الجميع منصرفين عن الفتاة وهى تقف وحدها بجوار والدرون التعس .. وعندئذ احست بيد تلمس كتفيها

في الظلام فاجفلت وكادت تنبعث من فمها صرخة حادة ولكنها حبستها في حلقها اذ سمعت صوتا يهمس في اذنها :

— انني صديق يا دوريس . . فدعى والدرون يطاولهم قليلا وبعدهم بافشاء سره .

فتظاهرت الفتاة بالاغماء وسقطت على الارض بجوار والدرون ، وما لبثت بعد قليل ان همست للمخترع بهذه الرسالة الغريبة .

فلما فرغ فايت من حديثه مع مريديث ، كان يبدو كانه في عجلة من امره ، اذ قال لهوسكنز : قل للدكتور بلفاج ان يحقن الفتاة بالمخدر ويحملها الى حجرتها .. اما نحن فلدينا عمل هام الان ..

وكان مريديث قد اخبره بأن رجلا ايقوسيا قد حضر برسالة من ابن عمه الذي يعمل مع جراهام كالدول مخترع الطائرة ، ليخبرهم بان رسوم الطائرة قد اعدت وان جراهام فرغ من اتمامها .. وعليهم ان يعجلوا بالحضور قبل ان يحمل المخترع رسومه الى السلطات الحربية .. فتم الاتفاق على ان يذهب فايت وجريجوروف ومريديف وكورتنز معا على ان يبقى الطبيب وهوسكنز في القصر حتى عودتهم .

* * *

— ٩ —

كان الطريق يمتد ميلا بعد ميل فيبدو كشريط ابيض ملتو ، بين الوهاد الجبلية السوداء .. ولم تكن ثمت منازل قريبة من تلك البقعة ، غير خيمة صغيرة ، بجانبها كوخ صغير من الخشب وعلى قيد نحو مائتي متر منهما كوخ خشبي آخر مستطيل الشكل لا نوافذ له ، وبابه عريض بحالة غير مالوفة

وعلى الرغم من ان الساعة قد بلغت العاشرة مساء ، الا ان الظلام لم تشتد حلكته بعد ، كعادة هذه الاصقاع الشمالية ، بحيث يكفي رجلا لان يقرا كتابا .

ولكن الرجل الوحيد الذي كان هنالك وقتئذ ، لم يفكر في القراءة .. بل كان مستلقيا على العشب يتطلع الى الطريق اللامع وهو ينحنى عند الافق ، خلال منظار مقرب وضعه امامه على الارض .. وكان قد قضى في هذا الوضع اكثر من ساعتين ، دون ان يظهر اثر لما كان يرقبه ..

واخيرا تنهد في ارتياح ، ثم وثب على قدميه وراح يطوى المنظار ، ويخفيه في حفرة قريبة وما لبث ان مضى في تمهل الى جانب الطريق ينتظر السيارة التي راى انوارها منذ برهة ، والتي ظل ساعتين يرقب وصولها . .

ووقفت السيارة بجانبه فانبعث منها صوت يقول : هل هذا انت يا مفكرسون ؟

فأجاب الرجل بلهجة الايقوسيين الجبليين : اى ! .. انا نفسى ..

ـ وما الدليل على ذلك ؟

ـ هذا المفتاح الفضى ، شارة الجمعية .. ولكن من انت ؟ لقد كنت انتظر الدكتور بلفاج نفسه .

ـ انى ادعى مريديت .. وانى واصدقائى نعمل لحساب الدكتور بلفاج ، ولولا انه مريض لحضر معنا .

ـ حسنا .. ان كل شيء على ما يرام ، ولكنى ارجو بعد ان تنتهي مهمتكم ان تحملونى فى سيارتكم الى قرية انفرنس لاقضى ليلتى هناك ..

ومضى امامهم فى الممر المتجه نحو الكوخين ، على حين قال مريديت بعد قليل :

ـ حسنا .. سوف نأخذك معنا الى انفرانس .. ولكن لا تنس اننا جميعا مسلحون ، وذلك فى حالة ما اذا ..

فقال الايقوسى بهدوء : هكذا ؟ .. ما الذى تعنيه بذلك ؟

وكان الظلام قد ارخى سدوله وغدا كثيفا لا يسمح بالرؤية ، على حين غمغم جريجوروف يقول للالمانى : هذا الرجل ثرثار يا اميل .. ولكن ما هذا الثوب النسائى الذى يرتديه ؟

وقبل ان يجيبه فايت ، انبعث خلفهما قهقهة غريبة ، فدمدم الروسى حانقا :

ـ لو ضحكت منى مرة اخرى ايها الاسبانى القذر فسوف احطم راسك ..

فقال كورتيز : اننى لم اضحك قط .. ولكن ابعد يديك عنى او اطعنك بخنجرى ..

ـ اننى لم المسك ايها الجرذ الحقير !

ـ ومن الذى فعل ذلك اذن ؟ .. لقد شعرت بيد تمسح على وجهى ..

وكان مفكرسون هو الذى اجاب هذه المرة :

ـ يبدو ان اصدقاءك يا مستر مريديت لا يحبون الاشباح التى تمتلىء بها هذه المنطقة .. ولعلهم على حق فى ذلك .. وربما كان من حسن حظهم ـ او من سوئه ـ ان يسمعوا اللحن الجنائزى الذى تعزفه هذه الاشباح ..

فغمغم مريديت : دعنا نسرع بالله ، فهذا المكان يثير اعصابى ...

وفتح مفكرسون باب الكوخ الصغير ، واضاء المصباح وهو يقول :

ـ هاكم المخترع ، جراهام كالدول ، وزميله الميكانيكى ..

وكان الرجلان يجلسان متقابلين الى المائدة ، وهمايغطان فى سبات عميق ، وقد وضعا راسيهما فوق اذرعتهما .. على حين كانت امامهما زجاجة ويسكى فارغة .. ثم اردف :

ـ لقد وضعت شيئا ما فى شرابهما ..

ـ حسنا فعلت .. واين الرسوم ؟

ـ فى هذا الدرج ، الى اليسار . . وهى كاملة اذ فرغا منها بالامس ولذلك بعثت ادعو الدكتور بلفاج ..

فاسرع فايت واخرج الرسوم من الدرج فدسها فى جيبه وعندئذ قال مريديت :

ـ معذرة يا صديقى .. ليس كلها .. اعطنى النصف معى ..

فدمدم فايت حانقا : يالك من احمق .. اتظننى اخادعك؟

فانضم الاسبانى الى مريديت فى طلب جزء من الرسوم ، ولم يرد فايت ان يثــير ريبتهما فاعطى مريديت ثلاث أوراق منها ، وضعها هذا فى جيبه وعلى وجهه علامات الرضى . . .

وكان الايقوسى ينظر من نافذة الكوخ وهو يمد ذراعيه امامه ، فصاح به فايت :

ـ ما الذى اصابك انت الاخر ؟

ـ نظر .. انه اللهب الراقص !! لهب الموت ! ..

فسرت القشعريرة فى جسم الرجال الاربعة ، على حين استطرد الايقوسى :

ـ سوف تسمعون الان اللحن الجنائزى ..

وقد صح حدسه .. اذ ارتفعت من بعد انغام حزينة كانت تنبعث من (موسيقى القرب) التى اشـــتهرت بها سكوتلندا ..

ولكن فايت تغلب على الفزع الذى الم به ، وقال بعد ان سكتت الموسيقى :

ـ مهما يكن الامر فاننا لن ننصرف حتى تتم مهمتنا .. ولا بد ان نحرق الطائرة .. فأين هى ؟

ـ هاك حظيرتها هناك .. وقد اعددت البترول ..

ـ اذن اسرع بنا قبل ان تعود هذه الموسيقى اللعينة .

ـ انها لن تعود ثانية .. فان موكب الاشباح لايمر هنا الا مرة واحدة فقط .

ومضوا جميعا خلفه حتى حظيرة الطائرة ، فراوا جسما كبيرا داخلها يشبه طائرا يمد جناحيه .. فراح فايت ومريديت يريقان البترول فوقها وحولها ، وبعد لحظة كانت النيران تندلع الى السماء فى وهج احمر ساطع .

ولبثوا يرقبون هذا المنظر حتى تحولت الحظيرة الى رماد فانثنوا عائدين الى حيث كان المخترع وزميله .

وكان الظلام قد عاد الى حلكته بعد ان خبت النار .. وعندئذ سمع فايت وكان يسير فى المقدمة ، صوتا مكتوماتبعته صيحة عالية وسباب متلاحق ، فعاد فايت الى الوراء وهو يحدق فى الظلام دون ان يستطيع رؤية ما حوله .. بينما كان صوت يصيح فى حشرجة : الى القاتل .. انه يقتلنى ..

وكان جريجوروف يصيح كوحش كاسر : ايها الحيوان القذر .. اتريد ان تطعنى بالسكين الان .. بعد ان حطمت وجهى بالهراوة ؟

وكان الاسبانى يقول فى صوت متحشرج : اننى لم اقرب وجهك .. ولم اقترب منك البتة

فاوقف فايت عراكهما .. وتقدم مكفرسون فاضاءمصباحا كهربائيا رأوا على ضوئه الدماء تسيل من وجه جريجوروف وقد تهشم انفه .

وعاد الروسى يقول :

ـ من الذى ضربنى اذن ؟

فاجاب الاسبانى : اقسم اننى لم اقربك البتة ..

وعندئذ تدخل الايقوسى مفكرسون قائلا : ربما كانت روحا شريرة هى التى فعلت بك ذلك .. ولك ان تحمد الله اذتركتك على قيد الحياة .

فراح الروسى يسبه ويسب الارواح الشريرة معا .

ما لبثوا ان مضوا جميعا نحو الكوخ الذى به الرجلان فحملوهما الى الصندوق الخلفى الملحق بالسيارة ، وبدأت رحلة العودة نحو الجنوب .

فلما تركهم الايقوسى فى قرية انفرنس ، كان فايت هو الذى يقود السيارة وقد جلس كورتيز الاسبانى بجانبه ، على حين جلس جريجوروف ومريديت فى الجرارة الخلفية مع الرجلين الفاقدى الصواب .

وكان الليل ساكنا لا يعكر صفوه شيء .. كما كانت الرحلة مملة ثقيلة .. وانتاب الاسبانى الملل فاسلم جفونه للنوم وراح يغط فى سبات عميق .. وعندئذ عاد اميل فايت يفكر فى الخطة التى اعدها لمثل هذا الموقف من قبل ، فاخرج مفتاح المحرك فى هدوء ، وضرب به كورتيز فوق مؤخرة راسه ضربة اودعها كل قوته اصابت من الاسبانى مقتلا فاختلج جسمه مرة واحدة ثم سكن الى الابد ..

واوقف فايت السيارة ، ثم اخذ مسدس الاسبانى من جيبه ، ومضى الى الجرار ففتح بابها ونادى الروسى وزميله وكانا نائمين .. فاستيقظ مريديت اولا يسأل عن الخبر .. فقال فايت :

ـ لقد توقفت السيارة ولكنى لم اعد اقوى على ادارة المحرك .. تعال ساعدنى .

فامسك مريديت مفتاح المحرك فى يده ، وعندئذ اطلق

عليه فابت الرصاص فجاة فخر صريعا لوقته .

وذعر الروسى ، ولم يدر سببا لمسلك شريكه الالمـــانى ولكن هذا اطلعه على سبب اقترافه الجريمتين حتى يتخلصا من مريديت والاسبانى ويستاثرا بالاختراعين لنفسهما .

واخيرا تعاونا على حمل جثتى الرجلين الى ناحية من الطريق بعد ان اخذا الرسوم من جيب مريديت .. ووضع فابت مسدس الاسبانى فى يده ، بحيث يبدو تصوير الحادث كان الرجلين تشاجرا ، فضرب مريديت الاسبانى بمفتاح المحرك وعندئذ اسرع الاخر باطلاق الرصاص عليـه فخرا صريعين لوقتهما ..

وقبل ان يتركا الجثتين ويكرا راجعين للسيارة ، سمعا ازيز طائرة فوقهما على ارتفاع منخفض .. وكان الصباح يرسل اشعته الاولى وقتئذ ، فرايا طائرة حمراء فوق راسيهما كما رايا الطيار يميل فى مقعده ويلوح لهما بيده .. غير ان وجهه كان مخفيا خلف القناع الجلدى السميك فلم يستطيعا تمييزه.

* * *

- ١٠ -

ما كاد الرجلان يعبران القنطرة المعلقة المؤدية الى القصر حتى قابلهما هوسكنز فى المدخل وهو يضحك كالمجنون ويلوح لهما بورقة فى يده قائلا :

ـ هذا هو سر الغاز .. لقد رضخ ذلك اللعين والدرون اخيرا ..

فتالقت عينا الالمانى فرحا ، وقال :

ـ حسنا .. وهاهو بالمثل جراهام كالدويل وزميله .. وقد حصلنا على رسوم الطائرة ..

فنسى العجوز وقاره وراح يرقص طربا ، وهو يغمغم :

ـ سوف ترسل صور هذه الاوراق بالبريد الليلة الى جميع الدول .

ولما افاق ، قال :

ـ ولكن اين مريديت وكورتيز ؟

ـ لقد صادفنا حادث عجيب يامستر هوسكنز ، اذ وقفنا بالسيارة اثناء الليل للراحة فلما عدنا اليها ظننت انهما مع جريجوروف فى الجرارة ، بينما ظن صديقى انهما فى السيارة

معى .. على حين انهما كانا قد توغلا قليلا فى الغابة .. ولاريب انهما سيلحقان بنا عما قريب .

ـ وما الذى اصاب وجهك يامسيو جريجوروف .. ؟

ـ سقطت فوق احدى الصخور فجرحت .

ـ يالله !! انها ليلة حافلة بالحوادث .

فقال فابت فى هدوء :

ـ انها كذلك يامستر هوسكنز .. ولكن اين الطبيب ؟

ـ لقد ذهب الى شركة التأمين لامر يختص بحريق هارتلى كورت .. ولا يلبث ان يعود .. اما والدرون فهو فى القبو والمخبر وخطيبته فى حجرتهما .

ـ هل لى ان ارى طريقة صنع الغاز يامستر هوسكنز؟

ـ بلا شك .. هاك هى .. وسوف انسخ منها النسخ اللازمة لتوزيعها على الدول ..

ـ هذا اذا اتسع لك الوقت يامستر هوسكنز ..

وانقض على العجوز فطرحه ارضا ثم قام بمساعدة جريجوروف باحكام وثاقه وحملاه الى القبو ، ثم عادا فحملا جراهام وزميله الى القبو كذلك .

وعاد الى الردهة العليا ليتفقا على الخطوة التالية ، وعندئذ

رايا شخصا يجتاز القنطرة فى طريقه الى القصر .. ولم يكن سوى كالنسكى ..

فدهش الالمانى وذهب الى الباب ففتحه ، وهو يقول :

ـ هذا شرف لم اكن اتوقعه يا سيدى .

ـ لا تتوقعه .. ؟ وماذا تعنى بذلك .. ؟ لم يكن لى بعد رسالتك العاجلة الا ان اخف بنفسى الى الحضور ..

ـ رسالة عاجلة ؟ اننى لم ارسل اليك شيئا .

ـ انه الدكتور بلفاج الذى حدثتنى عنه .. لقد حضر للفندق وابلغنى انك تريد ان احضر للقصر فى الحال ..

ـ مادام الامر كذلك ياسيدى فهاك الرسوم والتصميمات التى اتفقنا عليها .

فتناول كالنسكى الاوراق وراح يفحصها قليلا ، وما لبث ان قال :

ـ حسنا ياهر فابت .. اليك العشرة الالاف جنيه .

فأخذ فابت النقود ودسها فى جيبه على حين استطرد كالنسكى :

ـ ولكن ماذا فعلتم بالمخترعين ؟

ـ انهم فى القبو جميعا مع ذلك المأفون هوسكنز .. اتحب ان تراهم ؟

فوافق كالنسكى ، على حين كان جريجوروف يتحرق شوقا الى الفرار باسرع ما يستطيع ولكنه لم يملك الا ان يوافق فهبطوا جميعا الى القبو ، وهناك راح فايت يشرح لكالنسكى كيف يعتزم ان يقضى عليهم جميعا .

ولم يكن قد اتم حديثه عندما سمع صوتا مبحوحا يهتف من الاعلى :

ـ فايت .. فايت .. اين انت ؟

فجمد الالمانى فى مكانه لحظة ، فقد كان الصوت صوت الدكتور بلفاج .. ولكنه صاح به انهم فى القبو فجاء الطبيب يهبط الدرج على عجل ..

وعندئذ قال كالنسكى فى قلق :

ـ من هذا ؟

ـ انه الدكتور بلفاج ..

ـ ولكنه ليس الرجل الذى حضر الى هذا الصباح .. ! ما معنى ذلك كله .. ؟

فاحس فايت كان يدا تمسك بقلبه وتعصره .. واستبد به قلق مفاجىء لم يدرك له كنها .. على حين كان الدكتور

بلفاج يتكلم فى صوت متهدج بكلمات لم يفهم منهـــا فايت الا عبارة « الهياكل البشرية » .

فصاح به :

ـ ماذا تقول . . ؟

ـ اقول ان البوليس قد اكتشف ان هيكلين منهما هيكلا امرأتين .

ـ ماذا ؟ . . ماذا قلت؟

وعندئذ انبعثت تلك القهقهة المروعة مرة اخرى .. فدارت الدنيا بالالمانى وراح ينظر حواليه كوحش يوشك ان يسقط فى الشرك .. وتلا ذلك صوت يقول بالالمانية :

ـ هل كانت امسية موفقة يا هرفايت ؟

هذه الكلمات التى سمعها امام مدخل فندق ريتز فى لندن

ترى هل فقد صوابه فجاة ؟

ولكنه سمع بعد ذلك صوتا مالوفا .. وكان يقول :

ـ يسرنى ان نلتقى ثانية ياهرفايت .. هلا صعدت ؟

كان ذلك صوت مستر ارلو الذى تركوه حبيسا فى حجرة العمليات والذى حسبوه مات فى الحريق .

وصعد فايت والاخرون الدرج كانهم فى حلم مروع فاذا

بالحجرة تموج بالرجال .. ستاندش وداربل وجريجسون ، وغيرهم .. كما راى دوريس فينابلز ولوفليس .

ولم يجد فايت ما يقوله سوى هذه الكلمات التى كان ينطق بها فى تلعثم :

ـ كيف .. كيف استطعتم .. الفرار ؟

وكان اهتمامه بان يسمع الجواب من الشره بحيث لم يشعر بالرجال الذين كانوا يضعون الاصفاد حول رسغيه

وتحول لوبين الى كالنسكى قائلا :

ـ يجدر بك أن تنسحب من هنا ياسيدى قبل ان يقبض عليك البوليس .. ولكن هات الاوراق اولا ..

فاخرجها كالنسكى من جيبه فى مذلة ، وما لبث ان غادر الحجرة مطاطىء الراس على حين تقدم لوبين فاخذ النقود من جيب فايت ودسها فى جيبه والالمانى ينظر اليه مدهوشا .

واستطرد لوبين قائلا :

ـ لعلك لا تعرف بعض الموجودين هنا .. فدعنى اقدم لك المستر جراهام كالدويل الضابط المخترع ، وزميله .. اجل مستر جراهام كالدويل الحقيقى يا هر فايت لا ذلك الذى حملته الى هنا وسجنته فى القبو .. اما الرسوم التى بعثها

الى كالنسكى فهى رسوم طاحونة هوائية كما ان طريقة صنع الغاز التى اخذتموها من والدرون لم تكن الا طريقة صنع المنفحة التى تستخدم فى صنع الجبن .

وتحول الى جريجوروف قائلا فى لهجة رجال الجبال الابقوسيين :

ـ كيف حطمت الاشباع انفك يامستر جريجوروف ؟

وعندئذ ادرك الرجل ان مكفرسون لم يكن سوى هذا الرجل متنكرا ..

وعاد لوبين يقول :

ـ لقد صفعتنى يا جريجورف ، وكنت مقيدا لا استطيع حراكا . فكان ينبغى ان احطم وجهك ..

واستطرد يقول فى ابتهاج :

ـ لقد تتبعتكما اينما ذهبتما .. بل لقد كنت أوجه حركاتكما بنفسى . .ولعلكما فى شوق لمعرفة ما خفى عليكما، فاسمعا اذن .. لقد كانت الرسالة الحقيقية التى القاها الكابتن لوفليس على نافذتى تحمل هذه العبارات « مارى جان جسرج ا . ا ه » ولكنى لم استطع فهمها الا بعد فوات الاوان .. اى بعد ان سجنا فى حجرة العمليات .. ادركت عندئذ ان مارى جان هو ذلك العقار المخدر المكسيكى ، كما

ان ج ج . هو اجسم احد جياد السبق الشهيرة .. اى ان معنى
ان ج ج . هو اسم احد جياد السبق الشهيرة .. اى ان معنى
مركز قيادة العصابة وعندئذ جئت الى هنا وعرفت كل شيء عن اعمالكم البشعة .. وثمة امر آخر لم شأ ان افضى به الى مسيو كالنسكى ،فانني كنت اقوم بخدمته ليلة اجتماعكما بالفندق متقمصا شخصية هنرى رئيس الخدم بعد ان رشوته بالمال ..

وسوف ادعكما الان موثقين ، حتى يحضر رجال البوليس لسؤالكما عن مصرع مريديث وكورتيز . فانك – هير فايت – فى غمرة انفعالك وضعت المسدس فى اليد اليسرى للاسبانى . كما انني شهدت جريمتكما وانا بالطائرة ..

وكان الرجلان يسمعان هذه الاقوال وقد جحظت عيونهما دهشــــة .. واخيرا غمغم فايت : ولكن كيف خرجتم من الحجرة ؟ ..

– انني ماهر فى فتح الاقفال يا هر فايت ..
ثم اقترب منه ، وهو يقول :

– هل سمعت أن قفلا قد استعصى فتحه على أرسين لوبين ؟ ..

« تمت »